ثمّ اختفى كلّ شيء

الطبعة الأولى 1444 هـ - 2023 م
(ISBN) : 978-9931-13-434- 3
الإيداع القانوني: 2023/06

اسم العمــل: ثمّ اختفى كلّ شيء
اسم المؤلــف (ة): ملاك بوزيدة
تصميم الغلاف: زكرياء رقاب
إخـــراج: أحمد منصوري
المدير العـام / سميرة منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبــوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكترونـــي: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 79 47 80 033 / 79 90 21 0773
واتساب/86 73 49 0675
مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للمؤلف وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أوالنسخ أوالتعديل إلا بإذن من الناشر.
©

ملاك بوزيدة

رواية

ثمّ اختفى كلّ شيء

المثقف
للنشر والتوزيع

•مقدّمـــة:

كـرّر بطـل الروايـة هـذه الحـروف فخلّدهـا فـي ذهـن كلّ مـن قرأهـا وجعلـه يقـدّس الحـب كمـا قدّسـه هـو :

تعلّمت ركوب الموج في بحار الحياة ولم أغرق يوما

إلى أن باغتتني عواصف الحب وصرت آثما

اعتزلت المزالج وركوب الأمواج بعد رؤيتها وصرت أصمّا

ركبت قاربا لأمتهن الصيد ربما عليها أحصل، لم تكن سمكة في بحر بل حورية في القلب وألما

ذات حياء وتجيد حرق القلوب بالكلم

ألقت عليّ السهام فبات ذا القارب مقعرا فأسقطني بسفك الدم

لسانها فصيح وبنصب العين جعلتني لها فريسة وهي بالنسبة لي من النعم

برونقها وحلمها وكرم اليدين جعلتني طائرا بقفص وأنا الذي كنت محتشما

أيا ذات الخدين النواعم والشعر الأسود الفاحم تركتِ في القلب ندوبا وقد كنت في الحرب كالضراغم

زئيري سمعه المصلون وأنت عاكفة بالحرم

وإلى العلا مددت اليدين طالبا لقياك والبدر أخفى نوره خجلا من حسنك ونحن من الكرام

وبريق عينيّ وحبّي الذي بالحشا لن تخفيه أقوام ولا أعوام

وخلخال قدميك لم ينجُ منه عاقل ولا مجنون وأنا الضحيّة التي ذاقت الآلام

وأنا عبد الربّ لست بخالد وجمالك يدعوني إلى العبادة أنت حلمي وللصبا أحلام

هيهات لما ينتظرني ولمنية الحب صرت خاضعا وأنا غلام

واللسان تلهب من كلام يكتمه ليس صمتا فالسّكوت كلام

أستغيث طالبا منك الرحمة وخديعتك كانت لغام

_ كان هذا ما قاله بطل قصّتي حين وقع بالعشق، فقد بدأ الأمر بدقّة غريبة لشخص لم تكن يدا تطرق بابا بل كان قلبا يدقّ على قلب آخر، فيقال أن الحب هو الحياة التي تسري بأجسادنا ولو حاول العالم لا قوة تنهيه ويقال أيضا أن العشق هو دقّتين دقة باب ودقّة قلب ويظل السؤال هل يجوز أن تسبق الدقة الثانية الأولى؟!

• الفصل الأوّل: 📖

السرّ الغريب

إنّ الكون الواسع من حولنا يخفي بين كواكبه ونجومه أسرارا كثيرة، ومن بينها سرّ الرّقم 7، الذي استخدم لغة لا يفقهها الكثيرون وهي لغة الأرقام، ولو حاولنا دراستها ستبقى مبهمة، والرّقم 7 هو الأكثر تميّزا وخصوصية لعبادات المؤمن وكتاب الله تعالى، وكذلك يحمل أسرارا كثيرة فدعونا نكتشف سويا ونجيب على السؤال: هل تمكن هذا الرقم من جمع قلبين؟

أشرقت شمس الصباح بخيوطها الذّهبية لتعانق الأشجار والوديان وتوقظ الصّغار والكبار من نومهم، فقد كان صباح يوم مشمس في مدينة من مدن الجزائر، وقد امتزج عبق ورود الربيع جوهرة الفصول مع رائحة القهوة التي شمّها يبث في القلب انشراحا لا يضاهى بثمن، وقفت ندى أمام بيتها وهي تشاهد العصافير وجمال الطّبيعة فتاة ذات 7 أعوام تحمل أفكارا غريبة، شقية مرحة، تعالى صوت نداء وصل إلى مسامعها « ندى أين انت؟..»

ندى: كالعادة يجب أن يكون هناك شخص يفسد صفو حياتي وفرحي، لم تجب على مناديها وانطلقت بأقصى سرعة تهرول بين الغابات دون خوف أو مهاب إلى أن أحسّت أنّها بالفعل قد ابتعدت بشكل كبير عن

منزلها وأدركت أنها باتت تائهة بين أغصان الأشجار والأزهار، والغريب أن الطفلة لم تشعر بالخوف أبدا بل أحسّت أنها وأخيرا حصلت على مساحة واسعة للتنفس دون إزعاج من أيّ كائن، كانت ندى الشخص الغريب الصغير المتهور المرح، وأمضت وقتها بالتجول بين الأزهار وقطفها والحديث مع العصافير بلغة غريبة تفهمها هي فقط ونظرت لأعلى الأشجار لتجد عصفورا رائعا بدأ ينفخ ريشه أمامها كأنه يريد مداعبتها واللعب معها، في تلك اللحظة وصل إلى مسامعها صوت انكسار غصن يدل على أن شخصا ما معها بهذه الغابة الواسعة شخص يقاطع لعبها وسعادتها، وطار العصفور بعيدا عنها خوفا من زائرها المفاجئ، استدارت ندى لترى من القادم وإذ به طفل صغير بمثل سنها، وشعر الفتى بالذّعر حين لمحها وصرخ الاثنان في نفس اللحظة، وبعد ثوانٍ توقف الطفلان عن الصراخ، ونظر الولد نظرة حيرة، إلى التي تقف أمامه، فقد كان وجهها أحمرا وصغيرا وجسمها كذلك وكانت الرياح اللطيفة تجعل شعرها الأسود يتطاير وكان لعينيها لمعة غريبة تخبر كلّ من يراها أن التي أمامه شعلة وليست مجرد صغيرة، أما هي فقد بدأت بالضّحك، واستمرّت علامات الاستفهام تسبح داخل رأسه، وقالت «الرياح لطيفة اليوم أليس كذلك؟..هزّ الطفل رأسه إيجابا، وسألته ندى عن سبب وجوده هنا، وقال أنه تاه في الغابة ولم يستطع العودة إلى منزله، وقد بقيت معه وقتا طويلا وتحدثا كثيرا عن مواهبهما، وبدأ الخوف يتسلل

إلى قلبيهما، ولكن الإرهاق كان أقوى من ذلك الذّعر، ما جعلها تغفو على صدره وغفى هو الآخر..

وفي منزل ندى كان أهلها يبحثون عنها، والشمس توشك على الغروب وكان الجميع خائفا على الطفلة ،وقرر الجيران ومعهم والدها أن يدخلوا الغابة بحثا عنها وبالفعل قد دخلوا وبحثوا في كل مكان دون جدوى، وبدأ أبوها بالصراخ بصوت خائف إلى أن سمعت ندى الصوت وهي نائمة ما جعلها تفتح عينيها وتوقظ الطفل بجانبها، وسارت هي والفتى نحو الذي يناديها وترامت بأحضان والدها باكية، والمشكلة التي تواجههم الآن وجود الطفل الغريب معهم، قام خالد والد ندى بأخذها إلى المنزل ونامت الطفلة دون أن تعرف حتى اسم الذي كان معها طوال تلك المدّة، أما الأب والجيران فقد ظلّوا يبحثون عن أهل الصّغير حتّى تمكّنوا من إيجاد منزله..

•الفصل الثّانـــي: 📖

أين صديقي؟

بعد ذلك اليوم المتعب نامت ندى نومًا عميقا لصباح اليوم التالي، وفور نهوضها من نومها تذكّرت الطّفل الّذي كان معها وقفزت من فراشها راكضة نحو والدتها وهي تصرخ، نظرت لها بغرابة وسألتها: ماذا يحدث مجدّدا؟، قالت ندى بتعجرف: أين صديقي الّذي كان معي بالغابة؟ وضعت سارة والدتها الطّعام، كانت ذات بشرة بيضاء وشعر أسود داكن وعينان كبيرتان وسوداوتان، كانت تشبه ابنتها قليلا وقالت لها: البارحة بعد أن أحضرك والدك إلى هنا أخذوا الفتى إلى منزله ولا أعرف غير هذا، شعرت الفتاة بالإحباط فأوّل شخص أحسّت أنه فهمها وتمكّن من التحاور معها قد غادر حياتها بعد يوم واحد أمضاه معها، اختفى دون أن تعرف اسمه حتّى، تناولت فطورها بسرعة، وصعدت نحو غرفتها فهي معاقبة وممنوعة من الخروج بسبب ما فعلته، ارتمت بجسدها على السّرير وظلت تفكر في صديقها الخفي وتصف نفسها بالحمقاء لأنها لم تسأله حتى عن اسمه وتذكّرت أنه أخبرها بحبه لقراءة الروايات، واتجهت نحو مكتبها المليء بالكتب فرغم صغر سنها إلا أنها تحب قراءة الشعر والمطالعة، فقد كانت فتاة حالمة تشعر بالسّعادة بين حروف الكتب التي تأخذها من قصّة لأخرى فأحيانا تعيش مع ماري وحديقتها السرية

وأحيانا تعود إلى العصور الوسطى، وتذكّرت أنها قرأت أول رواية لها في سن السادسة أي منذ سنة واحدة فقط ومنذ ذلك اليوم بدأ عشقها للكتب، حملت بيدها رواية صغيرة كتب على غلافها "الأربعة الكبار "- لأجاثا كريستي-، ونظرت نحو النافذة قائلة ليتني أراك يا صديقي لأعطيك هذه الرواية ربّما ستحبّها، واصطدم بالنافذة طائر صغير لفت انتباهها، توجهت بسرعة نحوها فاتحة إياها ونظرت نحو الأسفل وإذ بالطائر المسكين ساقط بالأرض، ودون تفكير ركضت ندى نحو باب المنزل لتطمئن على العصفور، لكن والدتها منعتها كونها معاقبة، وبعد شجار طويل ومشاحنات بين الأم والابنة سمحت لها سارة بالخروج وحملت الطائر بين ذراعيها وذرفت الدموع، ولكنّه كان على قيد الحياة ما أعاد لجوفها الأمل، وبسعادة بدأت تجهّز له سريرا ينام فيه، وعند عودة والدها إلى المنزل وفحصه للعصفور اكتشف أن جناحه كسر إثر الارتطام بالنافذة، احمرّت وجنتا ندى حماسا عند سماعها لهذا الكلام، لقد شعرت أنه ربما سيكون الصدفة النّادرة التي ستخرجها من حزنها وبؤسها، فقد كانت وحيدة بين أفراد عائلتها ولم تجد شخصا يشبهها رغم كونها لطيفة مع الجميع ووحيدة في نفس الوقت تجذبها أمور قد لا يحبّها الآخرون، وكلّ من شاهدها قال أنها الطفلة الأكثر سوءا..

مرّت عدة شهور بعد تلك الحادثة وبعدها قضت ندى عدة أيام خلف الأبواب وبين جدران غرفتها مع طائرها الصّغير الّذي بدأ بالتعافي

يوما بعد الآخر، وقد كان الجوّ كئيبا والأمطار تتساقط بغزارة، ونظرت نحو السماء قائلة: يبدو أن الغيوم حزينة وتبكي مثلي تماما، لقد ظلت الفتاة محبوسة بسبب الشّتاء والبرد ولكنّ سجنها هذا كان بين رواياتها وشخصياتها ولم تكن تتناول إلا القليل من الطعام، وزادت نحافة جسدها ووجهها، أصبحت شاحبة وباهتة كلون السماء أثناء تساقط الغيث، ولم يكن هناك أمر لتفعله، كانت تتجوّل بين الغرف، وتشاهد أفراد عائلتها وكان لندى أخت وأخ أكبر منهما في ذلك الوقت .

بينما هي تلعب مع الدّمى دخلت عليها والدتها وطلبت منها أن تساعدها في المطبخ، وبحماس وافقت على الفور، فقد كانت تشعر بالملل لوحدها، ونزلت مع والدتها ليصنعا كعكة الشّوكولا احتفالا بحلول عام جديد، فقد كان هذا اليوم الأول من شهر يناير أو جانفي كما يسميه الجزائريون، وكان على المائدة العديد من الأطباق التقليدية ومضى هذا اليوم بشكل رائع ودافئ، بين أحضان الأسرة وتحت سقف منزل عامر بالحب والحنان..

وقد حل الظلام واتجهت الطفلة الصغيرة نحو فراشها، لتغطّ في نوم عميق وأحلام سعيدة ونامت المدينة فرحة بحلول عام جديد، وقد تساقطت الثّلوج بشدّة في تلك الليلة كأنّها تحتفل وتتراقص مع الأطفال الصّغار، كما أنّ السماء بدت كالبحر والنجوم اللامعة كالحيتان الّتي تسبح في أعماقها وبين أمواجها وما أجمل البدر تلك الليلة! الذي بات معانقا لسمائه ويبثّ نورا بالقلوب والبيوت ..

•الفصل الثالث: 📖

أغرب عيد ميلاد

إنـه اليـوم السـابع مـن شـهر يوليـو وهـو يـوم عيـد ميـلادي، ومثـل كل عـام آخـر مضـى مـن حياتـي لـم يغيـر بذاتـي شـيئا، سـوى تسـاؤلاتي حـول دينـي، لقـد أتممـت سـبع أعـوام وأصبحـت فـي سـن الثامنـة، مـرّ دهـر أليـس كذلـك؟ مـن يسـمع كلامـي قـد يفكّـر أنّنـي شـيخ هـرم قبـل أوانـه ويحصـي أعوامـه الأخيـرة قبـل وفاتـه، لكننـي طفـل لـم يـر مـن الدنيـا إلا القليـل، إنـه بـزوغ الفجـر وهـا هـي الشـمس تشـرق مـع خيوطهـا الذهبيّـة ويرافقهـا صـوت الأذان يدعونـا إلـى الصّـلاة، لازلـت بفراشـي رغـم أننـي مسـتيقظ، وقاطـع بنـات أفـكاري صـوت والـدي يوقظنـي للذّهـاب إلـى المسـجد، لقـد وضـع الله قلبـي وإيمانـي فـي المـكان الصّحيـح، لقـد كبـرت فـي أحضـان بيـت عامـر بذكـر الله، توجّهـت إلـى الحمـام مـن أجـل الوضـوء وأنـا منصـت لصـوت والدتـي التـي تتلـو حـروف الله، وخرجـت بعـد انتهائـي لأرى والـدي يتطيّـب ليقابـل ربّـه بأفضـل صـورة، وفـور وصولنـا إلـى بيـت الرّحمـان بـارك لـي المصلـون وأصدقائـي لبلوغـي سـن الثامنـة مواظبـا لصلاتـي، وكان هـذا أغـرب عيـد ميـلاد قـد يمـرّ علـى طفـل، وجلسـت بعـد أداء الصـلاة مـع أبـي الـذي صـار ينصحنـي ويوصينـي بأخـي وأمّـي فقـد كنـت الأكبـر، ورغـم كونـي طفـلا إلا أننـي دائمـا رأيـت نفسـي رجـلا وناضجـا، وبعـد انتهـاء حوارنـا ذهبـت إلـى

المنـزل مـع أصدقائـي وتوجّـه أبـي نحـو عملـه، وفـور دخولـي وجـدت أن أمّـي قـد حضّـرت لـي الفطـور وثيابـي، فهـذا أول يـوم دراسـة بعـد عطلـة الشـتاء، وبعـد انتهائـي توجّهـت مـع أصدقائـي نحـو المدرسـة ومـرّت كلّ الأمـور بخيـر وسـعادة، وبـدأت الآنسـة بمراقبـة الدّفاتـر إلـى أن نمـت دون أن أدري، ولـم أشـعر بنفسـي إلا حيـن اقتربـت منـي الآنسـة وأيقظتنـي ووبّختنـي، أميـر: مـاذا؟! كيـف هـذا!؟، لقـد شـعرت بنـار تلتهبنـي، فهـذه أول مـرة يسـخر أحـد منـي، واستشـطت غضبـا حيـن سـمعت أصـوات الضّحـكات تتعالـى، ونظـرت فـورا الـى طالـب كان يقلّـل منّـي، ودون تفكيـر نهضـت مـن مكانـي وركضـت نحـوه أضربـه، لقـد كان طبعـي الـذي عرفـه الجميـع العصبيـة فأنـا البـركان الخامـد ولا شـخص يـدري متـى سـينفجر، وأوقفتنـي الآنسـة عـن فعلتـي وأدركـت أننـي وضعـت نفسـي فـي موقـف محـرج، فقـد كان كل الطـلاب ينظـرون نحـوي بغرابـة وأسـموني بطـرزان، وبعـد انتهـاء اليـوم الدراسـي وبّختنـي الآنسـة وطلبـت منـي أن أحضـر ولـيّ أمـري فـي الغـد.. وأيقنـت بالفعـل أنـه أغـرب عيـد ميـلاد قـد مـرّ علـيّ، وبعـد هـذا اليـوم المتعـب قـرّر أبـي أخـذي إلـى المكتبـة لشـراء بعـض الكتـب، ولفـت انتباهـي روايـة اسـمها "أنـت لـي"، لفتنـي عنوانهـا وغلافهـا وقـرّرت شـراءها، عـدت إلـى المنـزل وشـرعت بالقـراءة ولـم يمنعنـي ظـلام الليـل الحالـك، أو حتـى السـكون القاتـل، فقـد كانـت الوحـدة تحيطنـي مـن كل جانـب غيـر أننـي تابعـت القـراءة حتـى غفـوت وكانـت هـذه أول مـرة أعـرف بهـا عـن الحـب واسـتغربت هـذا الشـعور

كثيرا وأردت البحث عنه أكثر فأكثر، والتعمّق في تلك الرواية وإكمالها لمعرفة النهاية .

أمضيت ثلاثة أيام أدرس وأعود من المدرسة أطالع الرواية التي وقعت بحبها، رغم أنني لا أعرف ما هو هذا الإحساس، وها قد أنهيتها بسعادة، ولكن تلاشت الفرحة بسرعة بعد أن سمعت والداي يتحدّثان عن طبعي العصبي، وهذا بسبب الآنسة التي اشتكت لهما من تصرّفي ذلك اليوم، وخرجت أمي حزينة من غرفتها، وأخذتني بالأحضان ولم أفهم بتلك اللحظة ما يحدث وكنت مندهشا من بكاء والدتي، وظننت أنّ مكروها ما قد أصابها، لكنها ما لبثت أن ابتسمت وطلبت من أخي أن ينام معي هذه الليلة، وتعالى صوت شخيره المزعج ووجدت نفسي أغمض عينيّ رغما عني ومرت ثواني لأجد نفسي أغطّ في نوم عميق، استيقظت مع منتصف الليل لأشرب، وتوجّهت نحو المطبخ لكنني سمعت صوتا بغرفة المعيشة.. والجميع نائم.. هل هو شبح؟! تردّدت بالبداية خوفا لكنني في النهاية تشجعت وسرت نحو مصدر الصوت ،وإذ به والدي يتألم بصمت، رنوت إليه بحزن وذعر وسألته ما به، أجابني بتحسّر ولدي اسمعني جيدا أنا مريض قلب ولا أدري متى سيتوقف قلبي لذلك أنت رجل البيت من بعدي، أحزنني كلامه وسقط على قلبي كالسيف القاتل، ومنذ ذلك اليوم صرت فاقدا للشغف وشعور أنني طفل، لازمت المسجد وقراءة الكتب متفقا مع والدي أن لا نخبر أمي بشأن مرضه.

وبالمدرسة بدأت أكتشف انجذابي لزميلتي أسيل التي كان لها عينان زرقاوتان كلون البحر وصرت أغازلها بيني وبين نفسي وبأقلامي وأخفيت الشعور عنها بعد أن أدركت بأنه حب.

●الفصل الرابع: 📖

أوهـــام

الأحـلام تشـبه الوهـم، تـراه تـارة ويختفـي تـارة أخـرى، وأحيانـا ننتظـر عتمـة اللّيـل لنـرى حلمـا رائعـا، ولكـن أصـوات الرّعـد دوّت داخـل أذنـي تلـك اللّيلـة ودقّـات القلـب تسـارعت وأصبـح كلّ شـعور داخلـي مخفـيّ، مـا الـذي نبحـث عنـه؟،

والمطر يهطل بغزارة وأغصان الأشجار تتحرك،

أحسست بالذّعر ونحـو النافـذة توجّهـت فتحتهـا ولمحـت شـبحه فمـددت لـه يـدي أمسـكني وتحـت المطـر سـرنا، صعـد نحـو السـماء محضـرا لـي نجـوم الأمـل.

عانقني بعطر الحب ومحى من داخلي السّقم.

ونظـر داخـل العيـون قلـت هـل حبّـي لـك مربـوط بهطـول المطـر؟!، ابتسـم وفـي ابتسـامته اختفـى الضّجـر.

نظـرت للسّـاعة وقلـت سـيحين الفجـر والسـاق لا ترضـى أن تسـاق نحـو المنـزل.

رنـوت إليـه أتأمّلـه، أحفـظ وجهـه فـي ذاكرتـي لعلّـي فـي ليالـي الصيـف أنسـاه وأعـود لممـرّات مخيلتـي وأنيـس الشـتاء أتذكّـر.

اقتربت لأحتضنه ولكن اختفى من بين يديّ وتلاشى وعرفت أنه مجرّد وهم، صنع الخيال صورة ذلك الصديق الذي التقيته بالغابة ليسعدني، فالقلب مملوء بالجراح ينتظر من بالتّرياق يسقيه ويسعفه، هذا الحلم الّذي راودني أثناء نومي البارحة أليس هذا غريبا أيّتها الجدران، لكن لماذا فجأة تذكّرت صديق الغابة؟!، ليته معي لكي أسأله .

كان مجرّد حوار بين ندى وغرفتها فقد كانت وحيدة لدرجة أنّها تحاور الجدران والمرايا، كان يوم الجمعة وذهب والدها ليصلي وكذلك والدتها لكنها جلست بغرفة المعيشة تحاول قراءة سورة الكهف فهي نور بين الجمعتين، كانت فضولية بشدّة حول أمور الدّين، ولكن لم تجد شخصا يساعدها لإبعاد كلّ تلك التساؤلات، فقط بعض الكتب، كانت فصيحة وبسرعة أنهت القراءة، وخرجت من المنزل دون أن ينتبه لها أحد من إخوتها، ووقفت أمام الرّصيف، تنظر إلى شجرة الصّنوبر الطويلة وجلست تحت ظلالها تطالع رواية "أنت لي"، وظلّت تبتسم لكل الطيور وتتأمّلها، وتوقفت عن القراءة، وقالت لنفسها لماذا لا أكتب رواية كما يكتبون وشعرت بالحماس واشتعلت عيناها لهيبا، وأخذت تركض بسرعة ووصلت إلى غرفتها وأخذت ورقة وقلما، وعادت أدراجها نحو الشجرة، ونظرت نحوها هذه المرّة بمكر، لتتسلّقها وتحتضن أغصانها كي يكون لها انتماء وجذور بعيدًا عن العالم والضّجيج والصّخب، وراحت تشاهد العصافير والغيوم وهي تجلس على غصن وكان يراودها شعور رهيب

تجاهلتـه، وكتبـت بتلـك الورقـة: "آن الأوان لأن أعيـش فـي رخـاء تحـت السـماء الزرقـاء

وأهجر ذوي الطمع في عيشة السخاء

وأحلم بالنظر للغيوم البيضاء

حيث أهرب لمكان يغطيني من الدماء"،

وبتلـك اللحظـة عـاد أهلهـا مـن الصـلاة، ونـادت "أمـي أمـي"، كانـت تبتسـم وتصـرخ بفـرح لكـن سـارة ظنـت أن ابنتهـا عالقـة بيـن أغصـان الشـجرة وأوراقهـا، وطلبـت مـن زوجهـا أن يتسـلق وينزلهـا، لكنهـم تفاجـأوا عندمـا شـاهدوها تنـزل لوحدهـا، وبخهـا والدهـا بشـدة قائـلا: نحـن فـي اليـوم الخامـس مـن شـهر يوليـو وبعـد ثمانيـة أيـام سـتصبحين فـي الثامنـة إنّـك تكبريـن لكـنّ عقلـك لا يـزال متهـوّرا جـدا، وطلـب منهـا العـودة إلـى غرفتهـا والبقـاء فيهـا إلـى المسـاء دون أن تخـرج، وبقيـت بغرفتهـا مـع أختهـا، وكان الصمـت مكتسـحا المـكان فـكل واحـدة لهـا أفكارهـا ولا يوجـد أي شـبه بيـن كلتيهمـا، فنـدى كانـت غارقـة مـع روايتهـا "أنـت لـي"، وهـدى أختهـا كانـت تلعـب بالهاتـف..

ومـرّت عطلـة نهايـة اسـبوع وعـادت نـدى إلـى الدراسـة يـوم الأحـد وكانـت الآنسـة تحبهـا بشـدّة، ولاحظـت موهبتهـا وإبداعهـا فـي الكتابـة وأيضـا فصاحتهـا. وكانـت معجبـة بشـدة بشـخصيتها المرحـة اللّطيفـة رغـم صغرهـا، أمّـا أميـر فقـد كان حزينـا جـدّا وهـو يشـاهد أبـاه المريـض وكان خائفـا مـن

فقدانـه، ودائمًـا مـا يفكّـر فـي وضعـه بعـد أن توافيـه المنيـة، كان شـارد الذّهن بمدرسته ويفكر في ذات الوقت في أسيل التي غابت عن الدراسة مدة طويلة بسبب المرض وكان قلقا عليها هي الأخرى، وبينما الجرس يدقّ معلنا للطلاب أنه حان وقت العودة إلى منازلهم، جاء مجموعة من الأولاد إليه وكان أحدهم ساهر الطالب الذي ضربه حين سخر منه بالصف، وكان يريد الانتقام منه، وخرج الجميع من المدرسة واستنجد أمير برفاقه وحدثت مشاجرة كبيرة بين الأطفال أدت إلى جرحهم وانكسار يد أحدهم، وبالصدفة مر والد أمير ورأى ما يحدث، وأوقف المشاجرة بينهم وأخذ الفتى المكسور إلى المستشفى، وعند عودته قام بتوبيخ ابنه بشدة، وضربه اتجه أمير باكيا نحو الحمام توضأ وخرج نحو المسجد وكان يصلي وهو يذرف الدمع تحسرا على ما حدث، لكنه قرر الصمود وإخفاء مشاعره كعادته، وجلس مع صديقه بعد انتهاء الصلاة وأخبره أن عليه بالصبر والتمتّع بطفولته..

أمّا عادل أبوه فقد كان يرى أطفاله وزوجته كنزا ثمينا حصل عليه، كان شهما ويحبّ أسرته وربّى صغاره على حبّ الله والصلاة وفعلا أثمرت جهوده، وقد جلس مع زوجته يخبرها بندمه عن تلك الحروف القاسية التي كانت كالسّهام موجهة نحو قلب طفله أمير، وعند عودته احتضنه بحرارة وقبّل الولد يداه معتذرا، وذهب إلى غرفته ليغرق بنوم هادئ وعميق..

•الفصل الخامس: 📖

لماذا سنغادر؟!

وأخيرا إنه اليوم الذي انتظرته طويلا، أصبحت في الثامنة إنه يوم ميلادي!، واكتشفت أنني في السنة الفارطة لم أحرز أي تقدم في تحسين علاقاتي لذلك قرّرت أن أحصل على صديق هذه المرة، في مدرستي كلّ الأطفال غريبون وانطوائيّون يحبّون المظاهر والتزيين، أما أنا فلم أهدر وقتي الكامل على شيء واحد بل أحببت دوما التّغيير، لا يفهمني إلا من أحسّ شعوري وذاق عيشة التّيسير لا التعسير، هادئة لحدّ الصّمت وفي ذات الوقت فتاة حالمة تعيش الخيال بدقة وتفصيل، داخلها آلاف الكلمات وآلاف العبارات والمشاعر والأحاسيس تخفيها أمام الآخرين وتبوح بها أمام المرايا، لم أكن يوما ممّن عاشوا طفولة بلون واحد لكنّني رسمت لوحتي بعدة ألوان عشقت دوما التهوّر لا يغريني الوجود بل ما يخبئه الكون، أغرمت بالطبيعة وقطف الورود ومعرفة أسرارها فما تخفيه زهرة التوليب عظيم، بين شخصيات من خيالي أحببت دوما العفوية لا لبس الأقنعة والتمثيل، كان لي عالم لا يملكه الآخرون بين صفحات الكتب وخوض المعارك الداخلية بجنون، أغلقت على نفسي داخل الجدران وصنعت شخصا كتوما، سمعت من الآخرين كلمات تدفعني للهروب، انطوائية بسرعة تذرف الدموع لم أقع في الحب ولم أجرّب ذاك الشعور

الّذي اعتبرته عظيما بين صفحات رواية أنت لي، وها أنا ذا كبرت ولقد زاد طولي أيضا، ذهبت مسرعة نحو والدتي والتي قبّلتني أما والدي فقد أخبرني أنني صرت أكبر وعلي بالنّضج، وأيضا المحافظة على صلاتي، وتفاجأت أنهم قرروا أن يحتفلوا ببلوغي هذا السن مع العائلة والأصدقاء، وقامت أمي بدعوة بعض الفتيات اللّواتي يدرسن معي..

وأخذني أبي إلى المدرسة وأمضيت يوما جميلا مع زميلاتي وعند انتهاء اليوم، ذهب معي بعضهن إلى المنزل من أجل الاحتفال، وانتهى اليوم بسعادة والحمد لله، جلست بغرفتي أفتح الهدايا، وبجانبي أختي تحادثني، وبقينا نتبادل أطراف الحديث كما لم نفعل من قبل وقالت لي: أودّ إخبارك سرّا سنغادر هذه المدينة، اخترقت هذه الحروف قلبي الصغير وبدأت بالارتجاف وتغيّرت ملامح وجهي فجأة، وعيناي تدمعان، وكأن الدنيا صارت ضبابا في بصري، هرعت خارج المنزل وتبيّن من صوت شهيقي وزفيري أنّني حزينة بشدة، وشاهدني كلّ أفراد عائلتي أقف أمام شجرة الصنوبر، فقد كانت صديقي الوحيد الذي اختبأت بين جذوره أوقات ثكلي، لم يقاطعني أحد وتركوني أملأ بئر دموعي، التفتّ لأمّي وقلت: لكن لماذا سنرحل؟!، اقتربت أمي تربّت على رأسي قائلة: طبيعة عمل والدك يجب أن يحدث هذا يا حبيبتي، أما أبي فقد طلب منّي الدخول إلى المنزل، دخلت غرفتي وأوصدت خلفي الأبواب وأخذت عصفوري أخبره عن مشاكلي وفكّرت أنّه ربما سيكون بهذا الرّحيل خير لي وتسلّل ضوء

البدر من نافذتي وأنار حُجرتي المظلمة ومعها قلبي، وبزغت أنوار الأمل في عيوني، وقرّرت أن أغيّر حياتي مع هذا الانتقال المفاجئ، وبعد أسبوع واحد انتقلت وعائلتي إلى مدينة أخرى حيث يعيش بقية أفراد الأسرة الجدّ والجدّة وغيرهما، وبأوّل يوم لي بالمدرسة، شعرت بألم شديد في قلبي وطلبت الآنسة من طالبة أن تأخذني إلى الخارج، خرجت أنا وهي كانت ملامحها غريبة بعض الشيء لكنها فاتنة عيون عسلية وبشرة بيضاء وقصيرة القامة، كنّا نتحدث وسألتني عن اسمي فقلت لها: اسمي ندى وقد استلهمته أمي حين رأت قطرات مياه تزيّن ورقة شجرة وعرفت أن تلك قطرات الندى فقررت أن تسميني على اسمها لأكون هادئة ولكن حدث العكس، ضحكت الفتاة بشدّة وقالت أنّ اسمها ليـن، ونزلنا نحو قاعة الرياضة لتجوّلني في المكان وسمعنا أصوات تحطّم فخفنا وقلنا أنها بالفعل أشباح، وخرجنا من هناك بسرعة وعدنا لمقاعد الدراسة ومنذ ذلك اليوم أصبحت من أقرب صديقاتي..

•الفصل السادس: 📖

اللقاء

مرّت ستّ سنوات منذ مغادرة ندى لذلك المنزل وتلك الشجرة أنيسها الوحيد، وقد تأقلمت كثيرا مع الأجواء وكوّنت صداقات عدّة وتغيّر شكلها أيضا، وقفت أمام مرآتها تشاهد تقاسيم وجهها، كانت عيناها سوداوتان وشعرها أيضا قاتم كظلام اللّيل، فتاة ملامحها عادية وبسيطة ما جعل جمالها غريبا وهادئا، ويبدو أن شغفها وحبها للقراءة لم يتغير مع كل تلك السنين فغرفتها مبعثرة بالقصص والروايات، وبتلك اللحظة دخلت عليها والدتها وبدأت بتسريح شعرها وقد كانت متعلقة بأمّها بشكل كبير، نامت على صدرها الحنون وهي تشم عطرها الطيب، وأغلقت عيناها لتذهب إلى عالم آخر يخصها هي وفقط وبعد ثواني قليلة سألتها والدتها: ما هذه الحيرة التي تعلوك؟ قالت: أحسست للحظة كما لو أنّ دقّات قلبك معزوفة موسيقية يا أمّي إنها تبث في قلبي الراحة بل هي لحن شجي أودّ سماعه دوما، ابتسمت أمّها وقالت: لكنّني أحسّ أن بداخلك سرّا تريدين البوح به، ما رأيك أن تحادثيني بدل المرآة اليوم؟!، أضافت ندى: آه يا أمي تكشفين ضياعي دومًا لكنه ليس بالأمر المهم.

- وكان واضحا من تلعثم ندى وطريقة كلامها أنها تخفي أمرا جعلها تائهة .

أما والدتها فلم تكشف كذبها وقالت: أنت الآن فتاة ناضجة وفي سن يسمح لك بالخطأ لذلك يا حبيبتي أريد إخبارك أمرا، أن من يريدك سيطرق هذا الباب حلالا لا طمعا في تدنيسك بالحرام، وأيضا قتلك، العلاقات مجرد مضيعة وقت وهلاك للنفس، أنت ذكية لذلك لا تكوني طعما لذئاب مفترسة في الشوارع، فحتى الله لا يرضى عن هذا الفعل إنه خداع وموت يحاصرك ويقتلك لحظة بعد لحظة وهذه النهاية المريرة، الحبّ ليس عناق إنه نار تحرقك بهدوء وتظنين أنه السعادة، لكنها كأس سمّ يجعل عيونك سماء ودموعك مطر يزينها..

لتنظر الأخرى لها بغرابة فما تعرفه ندى عن الحب مختلف تماما عن ما تقوله سارة الآن، هي تعرف جيدا أن الحب حياة للقلب لا وفاة، والعاشق يكون لعيني محبوبه حارسا ودرعا يحميه من كلّ شر كما فعل وليد مع رغد وقيس مع ليلى، فهي تتكلم بلغة الكتب والأساطير والخيال لا يجذبها كلام الكبار، لكنّها كتمت مشاعرها داخلها خوفا من ردّ فعل أمها ولم تغير فكرتها عن الحب فهي بالفعل تقدّس هذا الشعور النقي، وقبّلت والدتها وخرجت من المنزل تتجه نحو مدرستها الإعدادية فهذه آخر سنة لها قبل أن تصبح في الثانوية، وكانت متأخرة جدّا فأخذت تركض بين الأزقة، وبينما هي مسرعة ويكاد نفسها ينقطع وصل إلى مسامعها صوت صراخ طفل أرادت تجاهله في البداية لكن طيبتها لم تسمح لها بذلك وشعرت بالذعر على الصّغير، وتوقفت عن الجري وأخذت تمشي

بهدوء نحو الصوت ودون انتباه اصطدمت بشاب كان طويلا ونظر نحو الأسفل كي يرى القزم الذي يعرقل دربه، أحسّت ندى بإحساس غريب كأن نسمة رياح اجتاحت عقلها وفكرها وأحسّت أنها رأته من قبل وبسرعة ودون سابق إنذار التهبت وجنتاها احمرارا وخجلا وقالت بصوت خافت: كنت أبحث عن الطفل أين هو؟!، بقي الفتى متسمّرا ينظر لها بحيرة ونطق ببعض الحروف، ولم تنتظر ندى حتى لتسمعه ودفعته لتبحث عنه وحدها، لكنّه أوقفها وطلب منها أن يذهب معها، تردّدت بالبداية لكنها وافقت، فقد كانت خائفة من هدوء هذا الحي الغريب، وفجأة وجدوا طفلا صغيرا يجلس على الأرض ويذرف الدّمع بحرارة، حين وقع بصرها عليه رفرف القلب بداخل صدرها فرحا وشفقة بذات اللحظة وأحست أن ضلوعها تنكسر لتحيط بقلبها وتخنقه بشدة، فهي لا تطيق مشاهدة شخص به ثكل أو علّة، وجثت على ركبتيها رويدا رويدا وتكلّمت مع الطفل برقة شديدة ما جعل الشاب الذي معها يبتسم ويقول بداخله: اتّضح أنها لطيفة، وعرفت ندى بسرعة أنه أضاع طريقه لكنّها تذكرت مدرستها وأن الوقت تأخر ولم تعثر على حل للورطة التي أوقعت نفسها بها، لكن بعد تفكير قرّرت مساعدة الصغير، وبدأت هي والفتى الذي التقته يبحثان عن شخص يستطيع مساعدتهما، وأمسكت يد الطفل وأحست حينها برعشة دبّت في يده، فنزلت له وعانقته وسألته عن اسمه كي يحسّ براحة وهو يرافقها وكان واضحا من لطافتها أنها تجيد

التصرف، وبالفعل ارتاح لها وأخبرها أن اسمه سامي، مرت دقائق كثيرة وهما يبحثان عن شخص يعرفه ولكن دون جدوى، إلى أن شاهدا امرأة تجلس على الرصيف باكية، تقدمت ندى والشاب نحوها وما إن رأت سامي حتى أخذته بأحضانها تقبّله وشكرتهما بحرارة، وابتسمت ندى حينها وأخذت نفسا عميقا وقالت: يجب أن أغادر بسرعة!، وقبلت سامي وبسرعة البرق ركضت نحو المدرسة، أما الشاب فقد وقف مندهشا وقال في نفسه: يا لها من غريبة أردت سؤالها عن اسمها!، ثم ابتسم مع الصغير وذهب من نفس الطريق الذي سلكته، واتّضح أنهما يدرسان بنفس الإعدادية، كان يشعر أنه يريد رؤيتها ثانية لكن للأسف لم يشاهدها رغم أنهما في نفس المكان، ودخل مدرسته وصفّه وتأسّف من الآنسة لتأخره، وسمحت له بالدخول لأنه طالب مجتهد، جلس بمكانه ولكن عقله لم يكن يفكر إلا في الفتاة التي التقاها وشعر أنها مختلفة جدا ومميزة بذات اللحظة، وفي نفس الوقت كان يشاهد فتاة تدرس معه ويبدو أنه بالفعل يملك شخصا بحياته...

أما ندى فقد كانت مع رفيقاتها يتحدّثن عن الملابس والموسيقى، أما هي فقد شعرت بالملل بينهن فهي تحبّ أن تكون عفوية وعادية لا متصنّعة، وانسحبت ببطء من بينهنّ لتجلس وحيدة في صفها وهي تراقب كلّ من يدرس معها، إلى أن قاطعتها صديقتها قائلة: هل يمكنني الجلوس؟ ردّت: بالطبع!

كانت تلك صديقتها لين والّتي تعرفت عليها منذ ست سنوات بأوّل يوم لها في هذه المدينة، أضافت لين: هناك نادي تشجير بالمدرسة ما رأيك بالانضمام؟

ندى: لا مانع لديّ، وهنا دق الجرس فقالت لين: هيّا بنا سنجد الطلاب مجتمعين مع المدير، خرجت الفتاتان مسرعتان ووصلتا إلى مكتب المدير، وقد كان يتحدّث عن موضوع التشجير، وأخذ اسم كلّ منهما، وقال: سوف نقدم لكم قطعة أرض صغيرة تحيط بالمدرسة وعليكم تحويل تلك الأرض الميتة إلى حديقة حيّة تعج بالحياة، ويجب أن تختاروا طالبا منكم ليكون رئيسا لهذا النادي، وخرج الجميع من قاعة المدير متّجهين نحو قطعة الأرض التي سيعملون عليها، كانت واسعة بشكل رهيب لكن أشجار الورد قديمة جدّا وعارية من أزهارها مع بعض الأوراق الخضراء التي زرعت بعض الأمل في قلوب الطلاب، فهم مسؤولون منذ هذه اللحظة عن إحياء هذه الحديقة، ولأوّل مرّة لم تشعر ندى بالوحدة فهذه السماء الزرقاء والصافية جعلتها تشعر أنها تملك العالم داخل قلبها، أما لين فقد اقترحت ترشيح صديقتها لمنصب رئيس النادي كونها تجيد التعامل مع الطبيعة وتحبّها، ووافق الجميع على طلبها فقد كانت ندى محبوبة بسبب لطافتها ورقّتها..

وخرجت من المدرسة لتجد أخاها رائد ينتظرها، وأخذها هي وصديقتها في سيارته وأوصلهما إلى المنزل، فقد كانت الفتاتان تسكنان في نفس الحيّ، وبعدها غادر ذاهبًا إلى عمله.

•الفصل السابع: 📖

وحيـــد

بين جدران المسجد وسكونه كان هناك شاب ناسك متعبّد تخلى عن الدنيا وشهواتها رغبة في إرضاء ربّه، وتخلل ذلك الهدوء صوت فائق الجمال يتلو حروف الله يبث في القلب راحة وأمانا ليعانق الملائكة التي تحيط بالأرجاء،

كان أمير الذي مع كبر سنّه كبر حبّه لدينه، أمّا ندى فقد كانت في المنزل ترتدي ثيابها ووضعت الحجاب لتغطّي خصلات شعرها وتوجهت مع رائد نحو المسجد لتأدية صلاة الجمعة، وما إن اقتربت من مصلى الرجال حتى سمعت صوتا لم تسمع مثله بحياتها، صوت مميز علق بذهنها وكان أمير هو صاحبه، وصعدت لأعلى حيث تصلّي النساء ..

وجلس شقيق ندى أمام أمير ولمح والده فتعرّف عليه لأنه مريض بالمستشفى حيث يعمل ممرّضا فيه، وبقي الثلاثة يتحدّثون عن أمور الدين حتى بدأ الإمام إلقاء خطبة الجمعة. انتهت الصلاة واتجه الجميع نحو بيوتهم إلا أمير فقد بقي ليكمل قراءة القرآن، وطلب رائد من أخته العودة إلى المنزل مع صديقتها لين، وأثناء سيرهما شاهدت ندى حديقة ورود، وابتسمت وأمسكت يد صديقتها ودخلت تقطف الأزهار وتجري معها بين الأعشاب، ودون سابق إنذار تطاير الوشاح الّذي كان يغطي

شعرها مع الرياح وانطلقت لتركض وراءه فسقط على وجه شابّ فنزعه باستغراب وحيرة ونظر لها، ومن حرجها تعثّرت بحجر وأسقطت كلّ الورود عليه، لكنه لم يدقق بملامحها كثيرا وناولها وشاحها وغادر المكان، أما هي فجثت على ركبتيها تجمع الورود وهي تفكر ونظرت نحو لين وقالت: أظن أنني رأيته بمكان ما، ثم أدركت أنها تأخّرت عن المنزل ونهضت وأثناء الطريق صرخت فجأة، ولين تنظر إليها وعلامات الاستفهام تجول بذهنها، فقالت ندى: إنه الفتى الذي رافقني من أجل البحث عن والدة الطفل الضائع ذلك اليوم، أما لين لم تفهم ما تقوله رفيقتها إلى أن حكت لها كل ما حدث..

وعادت إلى المنزل وفور دخولها وبّخها والدها لتأخرها قائلا: تكبرين وتصرفاتك تزداد سوءا أخجل من أنك ابنتي، كانت هذه الحروف خنجرا طعن قلبها بشدّة فنزف الدم حزنا، وذرفت عيناها دمعا أحمرا من شدة الألم، وخرجت لتوصد الباب خلفها ووقفت أمام حديقة صغيرة أمام بيتها زرعتها بيديها ونظرت لزهرة جورية أوراقها حمراء كأنما جرحت فزيّنتها قطرات الدم لتصبح زهرة مميزة وقالت: بتت ذابلة كأوراقك الحزينة أيتها الورود وتجرحني أشواك كما تجرحك لكن لا سبيل إلى الفراق، أشعر بالوحدة كما تشعرين رغم أنك بين الأشجار تعيشين وببحر من المطر تغرقين حزن السماء يشبه حزني لكنني بالدمع أغرق اخترق النور قلبي مع رفاقي لكن أحس أنه مجرّد شعور عابر، أما ضوء الشمس الذي يعانقك فهو صادق.

رغم مرحي إلا أنني أحس أن لا أحد يفهم ما أشعر به، فمتى يباغت ظلام ليلي الشروق؟!

وأحسّ والدها بذنب اقترفه في حقّ ابنته، وأدرك أنه قد كسر شعورا بداخلها، فخرج من المنزل وعانقها واعتذر عن ما قاله فكل حرف نطقه كان من خوفه عليها فهو يحبّها، ودخل الاثنان المنزل متناسيان ما حدث..

وفي منزل أمير كانت العائلة كلها مجتمعة أخوه عمار وأمه ماريا وكانوا ينتظرون والدهم لينتهي من صلاته فهو من يريد لمّ شمل أسرته في غرفة واحدة، وبعد أن انتهى عانق طفليه وزوجته وبكى قليلا ثم حمل مصحفا بيده وقال وهو يتأوه من الألم: إنّ الدين يا صغاري يجعل قلبكم عامرا بالحب والأمان، ثم نظر نحو أمير وأضاف: رأيت فيك من الخصال ما يأسر القلب وأنا بالفعل متيقن أنك الرجل بعدي، أظن أن أيامي باتت معدودة وقصيرة ولا أريد تركككم وقلوبكم شتى فأردت جمعكم لأذكركم أنكم تحت سقف واحد، وما إن أنهى كلامه حتى وجد زوجته رفيقة عمره وحبيبته تنهال عليه بالقبل والدمع يتساقط من عينيها وطفليه يعانقانه، كان مشهدا حزينا ينذر بتعاسة سوف تحلّ بهذا البيت، كانت أمسية طويلة جدا وليلها لا ينتهي. استلقى الجميع في مكان واحد سويا وفارق النوم الجفون وأغرقهم الظلام بالسهر، يتبادلون أطراف الحديث وفي قلوبهم تمنّوا ذات الأمنية أن لا تنتهي هذه الليلة، وبقيت مجرد أمنية

فالزمن لا يتوقف وكذا الأجل لا مهرب منه، وهنا أشرقت الّشمس معلنة انتهاء الفرح وقدوم الحزن فقد غادر عادل وطفليه البيت متّجهان نحو المسجد لتأدية صلاة الفجر وأثناء سجوده سقط مغشيا عليه وتمّ نقله إلى المستشفى ومعه طفلاه وقد أحاط الذعر بهما، وعند وصولهما وجدا رائد شقيق ندى وطمأنهما أن عادل أصبح بحال أفضل، وطلب منهما العودة إلى المنزل فوالدتهما تنتظر عودتهما، وبالفعل قد غادرا..

وأثناء الليل توجّه رائد ليطمئن على حال مريضه وصديقه وكان مجرد ممرض مبتدأ، فوجد أنه يحتاج جرعة من المسكّن فحقنه بحقنة بعد أن أحضرها من مخزن الأدوية، لكن فجأة فتح المريض عينيه وأخبر الممرّض أنه يشعر بدوار شديد وألم بصدره، وبعد قيامهم بتخطيط كهربائي حيث يُسجِّل هذا الاختبار الذي يبدأ تشخيص النوبات القلبية الإشارات الكهربائية أثناء انتقالها عبر القلب، اتّضح أن دقات قلبه غير منتظمة، وأنه معرض لنوبة قلبية قد تؤدي إلى وفاته، فأخذوه إلى العناية المشدّدة لمراقبة وضعه، وكان عادل نائما وهو يشعر أن المنية تحيط به وبدأ يذوق طعم الفناء والسّكرات الصعاب، وبينما أهله قائمون الليل ويدعون ربهم ليشفى، فلعلّه دعاء مستجاب كان هو يصارع الموت بعد أن تسلل بجسده، ومع بزوغ الفجر شعور غريب بداخل أمير قد استقام وذرف الدمع وأيقن أنه قد أصبح لوالده بالسماء مقام، وبالفعل فقد فارقت الروح جسد الأب الحنون تاركة وراءها أسى وحزنا لن تخفيه

السنين، ولم يستطع الأطبّاء مساعدته فهذا أجله الذي يجب أن يواجهه، ووقف رائد أمام جثته طويلا وقد انهار حزنا، واتّصل بأهل الفقيد وأخبرهم، ودوى صوت صراخ أفزع النيام وأيقظهم كانت ماريا التي فقدت قلبها ودقاته مع فقدان زوجها، أما أمير فقد وقف دون أن يحرّك ساكنا وعمار يهزه ويهمس له بأذنيه أن عليه مواجهة الواقع لا الهرب منه، وحينها دخل غرفته وأوصد خلفه الباب وبكي كثيرا لدرجة أنه تمنى الموت، وقبل صلاة الظهر وصل محمولا على الأكتاف إلى منزله بآخر لقاء، كان عريسا ببدلته البيضاء بدل السوداء، بعد أن أحاط الكفن الذي بجسده بروح زوجته وصغاره بعد فقدانه، وضعوه على الأرض فاقتربت منه ماريا بثوبها الأسود وشعرها الأشعث وعيناها التي باتت حمراء من فرط البكاء، ومع كل خطوة كانت تخسر دقة من دقاتها لامست وجهه البارد، وقالت: لم تحدثني يوما عن أحزانك وكنت ترتمي بالنيران وتحميني وتخرجني من أحزاني، مزّقت قلبي ليحميك وجعلت بيتك بفؤادي أتعلم أن البيت قد زُلزل بناؤه بعد هذا الرحيل، لم لا تفتح العينان وتسقيني من بئر حنانك فحلقي يقتله الظّمأ ولا أسقى إلا من نهر أوجاعي، وجاء أخوها وقال لها أنّه سيأخذ الجثة، لكنها صرخت بأعلى صوت لها وسكن صراخها داخل قلب أمير الذي جلس بالأرض فقد أسقط قدميه الثكل، وقام خاله بأخذه ليحمل والده آخر مرّة وذهبوا نحو المسجد وهناك وقف أمير أمام جثة والده يتحسّسها بأنامله وقال

وهو يرثيه: "آه يا أبي روحك تسكنني وصرت قبرا لها لماذا رحلت وتركت البيت في حزن وأسى، هل اخترت ظلام القبر وتركت نور قلبي؟، أم أنك أعجبت بنقاء السماء وقررت التخلي عن الحياة؟، أين وجهك المبتسم لماذا تبدو هادئا هكذا؟، أين صراخك وصوتك العذب؟"، وجثى على ركبتيه باكيا فساعده المصلون لينهض أما عمار فقد كان يشاهد أخاه وقلبه ينفطر من الحزن، وبعد أن صلّوا على روحه الطيبة التي لم تترك فقيرا إلا وساعدته ولا حزينا إلا وصنعت بقلبه الفرح، وهذا ما قاله الجميع فلم يمرّ على المسجد طيف مصلي ملازم لصلاته كعادل، توجهوا نحو المقبرة مثواه ومنزله الذي سيبقى فيه ليطوى اسمه في دفتر النسيان، حمل الطفلان والدهما وهما منهاران، وودّعاه بين حبيبات التراب ودفنا قلبيهما وفرحهما معه، وعادا إلى المنزل وفور دخولهما عانقا والدتهما التي مات قلبها مع زوجها..

وباللّيل نهض أمير وعامر من أجل الصّلاة ودخلا غرفة أبيهما، وبعد أن أكملا حمل كلّ منهما قطعة من ثيابه وظلّا يشمّان عطرها، إلى أن سرقهما النوم..

وكان رائد في ذلك الوقت بحديقة المنزل ونهضت ندى من نومها وشعرت بأحد يسير بالخارج، ونظرت من النافذة لتشاهد أخاها يعبث بالتراب، وخرجت إليه وسألته بحيرة: ما الذي تفعله؟، فقال : أسقطت مفتاحي وها قد وجدته، لكنّها شعرت أنه يخفي أمرا ما وكان هذا ظاهرا

مـن تلعثمـه لكـن سـرعان مـا طـردت تلـك الأفـكار مـن ذهنهـا وعـادت إلـى سـريرها ونومهـا ..

الفصل الثامن : لست بخير

فتحـت النوافـذ أراقـب السـماء فوجدتهـا قـد تلبـدت بالغيـوم وراحـت تنـزف، وضحكـت أول وهلـة للمطـر، فتحـت النوافـذ ببسـمة أراقبـه

ارتديت الثياب وتحته بقيت وقتا طويلا

وقطرات الندى على الأوراق الخضراء ألمحها أفرح

ركضت في الشوارع أرحب به بصدر رحب

ورأسـي نحـو زرقـة السـماء أرفعـه أرى قـوس المطـر والغيـوم تتلاشـى مـن أمامـه صـورة جميلـة فـي ذهنـي حفـرت

أنادي السماء والغيوم طالبة منها إغراقي في المياه

بللـي مـا شـئتِ شـعري ووجهـي الحزيـن فرحـي فـي الوحـدة بيـن الأغصـان المبتلـة.. شـعرت كمـا لـو أن الجـو حزيـن وكئيـب، لكننـي سـرعان مـا عـدت إلـى الواقـع ولازلـت أمـام نافذتـي أحلـم بالسـير تحـت دمـع تلـك الغيـوم، كنـت وحـدي فـي المنـزل فالجميـع قـد خـرج ونحـن فـي عطلـة نهايـة الأسـبوع، وقـد مـرّ شـهران منـذ وفـاة صديـق أخـي رائـد لكنـه لازال متأثـرا جـدا بوفاتـه وكغيـر عادتـه فقـد أصبـح هادئـا مكسـور الجناحيـن لا يفعـل شـيئا سـوى الصـلاة وهـذا حالـه، اتّصلـت بصديقتـي ليـن لنتبـادل أطـراف الحديـث وأنـا مسـتلقيّة علـى فراشـي وأنظـر نحـو السـقف وتخيلتـه حديقـة المدرسـة الّتـي

صرت مسؤولة عنها وقرّرنا أننا سنجعلها جنة من الزهور، وفجأة أحسست أن أحدهم يمشي داخل غرفة والداي ولكنّني وحدي في المنزل، شعرت بالذعر كثيرا، وخرجت بهدوء دون إصدار أيّ صوت، وتخيلت كما لون أن أحدهم يغرز سكينا بظهري، كانت رحلة مرعبة بين ممرات المنزل، وما إن وضعت يدي على مقبض الباب وفتحته حتّى وجدت الغرفة مبعثرة وقطّة سوداء تقفز عليّ، صرخت بأعلى صوت وضحكت على نفسي بعدها، ثمّ حملتها بين ذراعيّ كانت صغيرة ومخيفة، وضعت لها بعض الحليب وعدت إلى سريري أطالع الكتب..

غابت الشمس معلنة انتهاء النهار وحلول الليل، واتّصلت والدتي تخبرني أنني سأبقى وحدي لصباح اليوم التالي، ولأول مرة أندم على قراءة الكتب والروايات، فقد شعرت كما لو أن شريطا من حوادث القتل التي طالعتها مع أجاثا كريستي بالفعل تجوب داخل رأسي وما باليد حيلة، حضرت العشاء وحدي وبقيت مع تلك القطة أفكر وتذكرت ذلك الصوت المميز الذي سمعته في المسجد، وقررت دراسة القرآن .

مرت تلك الليلة على خير ولم يلاحقني شبح ولا حتى قاتل متسلسل، وفي صباح اليوم التالي عاد والداي وذهبت إلى مدرستي مع أخي رائد، الذي أصبح كتوما جدا وصارت لحيته كثيفة واقترب من ربه بشكل كبير، أما أنا فور وصولي جمعت أعضاء النادي وقد أحضر أحدهم أدوات البستنة وأخبرتهم أننا سنحييها بالورود، وأول خطوة إزالة الأعشاب الميتة وقد

وافق الجميع، وبدأنا بالعمل في أوقات الفراغ، وقد زاد حماس الجميع فكل شخص فينا أحس أن هذه الحديقة تمثل العالم بالنسبة له وخاصة أنا فشعوري بالوحدة تلاشى معهم، كان حماسي أكثر من الجميع ووجهي يزداد احمرارا، تركت العمل وتوجهت نحو مكتبة المدرسة وهناك التقيت بشاب يدعى وليد كان يحب الكتب مثلي تماما صرنا أصدقاء، وقد انضمّ إلى نادي التشجير معنا .

ومرت الأيام ونحن على هذه الحال ندرس ونعمل، وبمرة كنت مع وليد نسقي النباتات وفجأة بقيت أنظر إليه، وإلى ملامحه التي جذبتني إليه، كان جميلا أسمرا وذو عيون سوداء تلمع في الظلام، والتفت هو الآخر ووقعت عيناي بعينيه وأحسست شعورًا غريبا بداخلي تجاهلته وحاولت الابتعاد عنه، لكنني في كلّ مرة أراه بها أشعر بشيء ما يتحرك بداخلي ولم أستطع تحديد أصل هذا الشعور وجعلني بحيرة كبيرة، كنت جالسة معه في ذلك اليوم وأخبرني أن له صديقا مقرّبا جدّا توفي والده ومنذ ذلك اليوم لم يأتِ للمدرسة إلا في فترة الامتحانات، قلت له: لقد أخبرني أخي عن شخص مات وابنه يدرس بنفس مدرستي لكنني لا أعرفه، ابتسم بشكل حزين وصمتنا برهة، ثم قاطعتنا لين لتخبرنا أن تسجيلات الدروس الخصوصية سوف تبدأ وبما أن هذه آخر سنة لنا في الإعدادية علينا التسجيل معا..

وذهبنا معا للدراسة وفور وصولنا شاهدت فتى يبدو عليه الحزن واكتشفت أنه نفس الشاب الذي اصطدمت به وألقيت عليه الورود، شعرت بأنه يتظاهر بالبرود ولكن داخله ألف شعور وأخبرني وليد أنّه أمير الفتى الذي فقد والده أعزّ شخص على قلبه، وسمعته يقول لوليد بعد أن سأله عن أحواله : لست بخير يا صديقي..

الفصل التاسع: كنت مخطئة

وقف أمير أمام قبر والده يواجه الحقيقة، بعد أن أيقن أن عليه توديع الحزن ليبدأ بداية جديدة، بعد شهور عاشها وحيدا في غرفته، جلس أمام ذلك القبر وقال بعد أن تنهد وكأنه يطرد البؤس من عروقه ونفسه: " لقد كبرت يا أبي صرت أعيش أحزاني وأنام بمفردي، لم أعد أحتاج الحضن الدافئ الذي ينتشلني من ألمي، لقد علّمتني أن عليّ الصمود والوقوف أمام كل مصاعب الحياة، وها أنا ذا الأن أصبحت جبلا قويا أمام كل الرياح والعواصف التي تصفعني، أنا آسف لأنّني اشتقت إليك وتمنيت رؤيتك كل يوم حتى بعد رحيلك، كانت موتتي الاولى يوم ودّعتك تحت هذا التراب البارد والمظلم، ليلك حزين وليلي طويل فها هو ذا الألم يكتسح ظلام ليلي، وينتشل من جفوني النوم ومن عروقي السعادة، أفتح العينين ولا أجد إلا الوحدة تحاصرني من كل جانب وبين أربعة جدران أصبح سجني فاتكا، ليل طويل لا ينتهي بل يدسّ السمّ بقلبي ليقتلني وهو يرخي سدوله كالستائر ليخفي نافذة أملي، أتراه قد عرف أن ما يخيفني

هـو سـماؤه الدّاكنـة أم أنـه أدرك أننـي أسـير فـي حضـوره فـأراد الانتقـام منـي ومـن مشـاعري أم أنـه شـعر بـأن حروفـي تخـرس وتحـلّ مكانهـا الدمـوع لتتحـدّث عمّـا أذوق مـن قسـوة فـي يومـي تحـت مطـر مزيجهـا مـن دم، أظـن أنـه رأى سـور الجليـد الـذي صنعتـه ليحمـي جسـدي فجعل قلبـي ميتـا، أو أنـه يرسـل نجومـه تحفـر قبـري.

رغـم نـور بـدره إلا أننـي لازلـت فـي عتمـة أسـير، والعيـن لا تبصـر، هـل اشـتعل شـعري شـيبا فأصابنـي السـقم؟، لكـن لمـاذا يقولـون أننـي فـي سـن الزهـور، يبـدو أنّ الزهـر الـذي تحدثـوا عنـه قـد أذبلتـه الأيـام ولـم يجـد سـاقيا بالمـاء يرويـه،

بـل أدركـت أننـي أخـذت مـن الـوردة شـوكها الـذي بـات يقسـو علـى أناملـي ويجـرح، رغـم بيـاض أوراقهـا إلّا أنهـا باتـت وردة جوريـة تجـرح كلّ شـخص منهـا يقتـرب، ناولنـي الدّهـر سـكينا وجعلنـي أقطـع بهـا قلبـي وأقتلـه دون أن أعتـرض، وهـا أنـا ذا أتسـاءل بغبـاء عـن مـا حـدث، قـرّرت اليـوم يـا والـدي أنّ علـيّ إغـلاق تلـك البئـر التـي فتحتهـا فقـد امتـلأت بدمـوع سـرقتها مـن جوفـي، وسـأنتظر مـن يعيـد لـي الحيـاة"، ثـمّ خـرج مـن المقبـرة تـاركا وراءه الدمـوع والحـزن وزارعـا بشـفتيه ابتسـامة لا تـزول، وتوجـه نحـو مدرسـته وفـرح الجميـع برؤيتـه يضحـك مـن جديـد، نظـر نحـو أسـيل وقـال فـي نفسـه : "وفـاة والـدي جعلتنـي أكثـر نضجـا وأدركـت أنـك لسـت الحـب الحقيقـي الـذي أبحـث عنـه ولذلـك سـأودع اليـوم حياتـي القديمـة ومعهـا كل شـعور تجاهـك ظننتـه

حبا"، وجاء وليد ليرى صديقه ويواسيه لكنه تفاجأ عندما وجده مبتسما رغم كل ما حدث، وشعر بالسعادة بذات اللحظة، وخرج ليلتقي بلين وكانا ينظران لبعضهما نظرة كلها إعجاب، وشاهدتهما ندى ودون أن تشعر أسقطت الدّمع من عينيها وقرّرت إزالة الشعور الذي كان يراودها تجاه وليد وقالت لنفسها: هذا ليس حبّي الحقيقي الذي أبحث عنه، ثم انضمت الى صديقيها وهي تخفي كلّ صراع قد خاضته مع نفسها ومشاعرها، وحينها قال لها وليد: ندى أتذكرين أمير؟!

قالت: نعم.

قال: أريده أن يصبح عضوا معنا بالنادي توافقين؟!

قالت: لا مانع لدي سوف أسجّل اسمه.

ومرّ من أمامهم أمير في تلك اللحظة، ونادى عليه وليد ليعرفه على ندى ولين، وكانت النظرة الأولى بين ندى وأمير هي الحرارة التي أذابت جليد قلبه وأصبح غارقا بين رموشها الطّويلة المميزة وشعر شعورا غريبا مع هذه الفتاة أعاد له مشاعرا لم تخترقه منذ سنين قد مضت ليشعر أن هذا اللقاء هو ولادته من جديد، وأصبح الأربعة يعملون سويا في إحياء أرضهم، ويوما بعد يوم كانت الأزهار تنمو وكذلك الاعشاب .. وبأحد الأيام نظر أمير نحو ندى وأطال مراقبتها وشعر بأنها جميلة، تقاسيم وجهها عادية ومميزة، وبعد انتهائهم من العمل جلسوا سويا ينصتون لحديث أمير فقد كان مثقفا من ناحية دينه وراح يقص عليهم

قصص الصحابة، وعند عودة ندى إلى منزلها بدأت تبحث عن الحجاب وأدركت أنه فرض على كلّ النساء، وقطعت عهدا على نفسها أنها ستضع حجابها العام المقبل وأخبرت والدتها بقرارها وقد سرّ هذا القرار أخاها رائد كثيرا وأيضا أختها وشجّعوها على هذه الخطوة..

وأمير بغرفته بدأ يشعر أن حزنه قد أصبح موجا يغرق مركبه، وأغلق عينيه وتمنى بداخله أن يعثر على شخص يفهمه ويمد له يد العون وينقذه من هذا الغرق..

وفي اليوم التالي والذي هو آخر يوم بالمدرسة وبعده سيجتازون امتحانا من أجل القبول بالثانوية، وقف عشرة طلاب أمام المدير والحديقة التي صارت جنّة بنظرهم فقد كان المكان عبارة عن لوحة ذهبية لما لها من سحر وجمال، ورود من مختلف الألوان وحزم من الزنابق وأثناء مشاهدتهم لها تذكروا كل لحظة عاشوها سويا أثناء زرعهم لها وبعض الورود قد انطلقت لتعانق الجدران وأشعة الشمس، فهذه اللحظة المنتظرة، أعجب المدير بهذا المنظر الرائع وشكرهم على كل مجهوداتهم واندلعت أصوات ضحكات لا يمكن احتواؤها من سعادتهم، وطلب المدير من ندى وأمير أن يذهبوا إلى غرفته لإحضار دفتر تنقيط موضوع على مكتبه، ووصلت ندى إلى هناك قبل أمير لكنّها اصطدمت بمنبّه صغير فسقط وانكسر، وعندها دخل أمير إلى الغرفة، ولم يستطع إمساك نفسه من النظر إليها، رفعت رأسها وكانت الدموع تنهمر من عينيها ووجهها صار أكثر احمرارا،

وقالت: أعلم أنك ستخبره ليعاقبني، لكن لا يهمّني، وفي قلبها كانت مشاعرها عكس ذلك تماما فهي ذات قلب مرهف لا يقوى العقاب، استدار نحوها وأخذ المنبه المكسور وأخبرها بأن تتبعه، ووقف الاثنان أمام مديرهما وقال أمير: لقد كسرته دون أن أنتبه، لكن المدير نظر إلى ندى وهي ترتعش خوفا، ورسم ابتسامة على وجهه كأنه أدرك أن الطالب الذي يقف أمامه يقول بجرأة أنه مذنب فقط ليحميها، ثم قال: لا بأس، وهنا وجه أمير نظرة حادّة نحو ندى قد اخترقت قلبها الصغير وارتجف جسدها بشدة، وبعد أن غادر المدير قالت بصوت جريء مرتجف: شكرا لك، لكنه لم ينصت حتى لحروفها المتلعثمة وغادر المكان، وغادرت ندى أيضا مع لين ووليد وهي تفكّر في الانتقام منه بسبب الموقف المحرج الذي وضعها به، لكنّ وليد قال لها: أنه طيب لكن لا يجيد التصرف، فقالت ندى : مجرّد متكبّر متعجرف..

وفي اليوم التالي بدأ الجميع التجهيزات والمراجعة من أجل الامتحان، وكان أداء ندى وأمير جيدا جدا وأيضا لين ووليد..

وبعد شهر وفي يوم استلام النقاط نجح الأصدقاء الأربعة وانتقلوا إلى المدرسة الثانوية..

●الفصل العاشر: 📖

لا أريد الدراسة

كانت أيام الصيف طويلة جدّا وكذلك لياليه، ما جعل الملل والسآمة يتسلّلان إلى قلوب الأطفال، فكانت الأحياء هادئة جدا خاصة أين تقطن ندى ولين، وكانت هذه آخر أيام العطلة بعد أن مرّ شهران بسعادة وهناء، وأمير ببيته يفكر في تلك الفتاة التي التقاها مع الصبي الصغير وبعد تفكير طويل أدرك أنّها نفس الفتاة التي رمت عليه الورود فقد كانت الشخص الوحيد الذي تمكن من جعل قلبه يدقّ بهذه الطريقة، واتجهت ندى ولين نحو الثانوية من أجل التسجيل واكتشفت ندى أنها بفصل لا تعرف فيه أحدا حتى صديقتها لين فقد وجدت أنها ستدرس بفصل مختلف، وخرجت وهي حزينة جدا ولا تريد الدراسة مع أشخاص لا تعرف عنهم شيئا وشرعت بالبكاء ولين تخفف عنها، وكان الحر خانقا فسرعان ما تناست كل ما يزعجها حين لمحت بحيرة بالطريق وجرت مسرعة نحوها وهي تدندن بأغاني تحبها وقفزت داخل المياه ولحقتها لين وهي تضحك على جنون صديقتها، وتراشقت بالمياه معها وبالصدفة لمحت ندى أمير مارّا بجانبهما، فنادت عليه وقالت: أيها المتكبر انزل معنا، فقال: لست سمكة مثلك وابتسم ونظر لها نظرة تحدّ أما هي فقد تهرّبت منه وتابعت اللعب مع لين، إلى أن حان وقت العودة إلى المنزل.

وفتحت باب بيتها لتجد والدتها، فرمقتها بنظرة غريبة جعلتها تفكر كيف ستهرب من أسئلتها: لكن وكغير المعتاد ابتسمت سارة ابتسامات خفيفة في وجه ابنتها، ما جعل الهدوء يسكن قلبها الذي راح يخفق بشدة، وصعدت نحو غرفتها وهي تفكر في أمير ثم ابتسمت فجأة وهي تقول: يتظاهر بأنه الجبل الذي لا يزعزعه بشر وهو كالطفل الصغير المملوء بالمشاعر، يتّصف بالحكمة إنّي أعترف لكنه متعجرف، واثق بنفسه ويظنّ أنه النار لكنني الماء وسأخمده لست أذمه وإنما أمدحه، غبي أحيانا لكنني أعذره، ثم استلقت على سريرها وهي تضحك، وتذكرت أنها ستكون وحيدة بالفصل وتمنت أن يكون معها أمير على الأقل وغفت..

فتحت عينيها على صوت حجر يلقيه أحد ما من النافذة، اتجهت مسرعة نحوها فوجدت شخصا يرتدي معطفا أسود وعيناه سوداوتان تلمعان بالظلام كان ينظر لها من بين الشجيرات واحتارت من هذا الغبي الذي يرتدي معطفا في الصيف، وحين دققت بملامحه وجدت أنه وليد، ونزلت مسرعة إليه فقال لها: هل تذهبين معي؟، وافقت ندى بسرعة وتوجه الاثنان نحو منزل لين وألقت ندى الحجر على النافذة هذه المرة، وتسللت لين بهدوء من المنزل لتلتقي بصديقيها، وفجأة جثى وليد على ركبتيه معترفا بحبّه للين وسط اندهاش من ندى وخوف من لين، ودون أن تقول شيئا دخلت إلى منزلها، ونظر وليد الى ندى نظرة كلّها تحد وقال: لن أستسلم، وسارت ندى خلفه وهي تفكر في شعور صديقتها وتابعا المشي بين الممرات المظلمة وهما معا إلى أن وصلت ندى إلى منزلها ودخلت..

أما لين فقد كانت أمام مرآتها تحاول معرفة حقيقة شعورها تجاهه وأرادت تفسير سبب تلعثم دقّات قلبها وتغير مسار تدفق الدم بكامل جسدها حين اعترف لها، فقد اشتدت وجنتاها احمرارا، لكنها تذكرت أن الحب الحقيقي هو الحبّ العفيف الذي لا يدنّسه اعتراف ولا ارتباط وقررت ترك شعورها سرّا بداخلها لن يكتشفه أحد..

وفي صباح اليوم التالي لم تستطع ندى الانتظار وخرجت مسرعة نحو منزل صديقتها، وطرقت الباب ودخلت وأمضت هي ولين وقتا طويلا معا، وحين همت ندى بالمغادرة قالت لها رفيقتها بصوت خافت: إنني أحبّه ولكن لا أستطيع.. صدقيني لن أقدر على الاعتراف!، ابتسمت لها ندى وشعرت لين أنها ليست وحيدة أبدا، وعادت الأخرى إلى منزلها سعيدة بوقوع صديقتها بهذا الشعور..

وانتهت أيام العطلة الثقال، وهذه آخر ليلة ستقضيها ندى في حرية، قبل العودة إلى المدرسة وكانت تشعر أن هذه أسوأ سنة على الإطلاق ورددت بداخلها لا أريد الدراسة..

وأمير أيضا اكتشف أنه في فصل غريب مع طلاب أغبياء وقال بنفسه: لا أريد الذهاب غدا ..

بزغت خيوط الشمس الذهبية من نافذة ندى لتوقظها فقد كانت متحمسة من أجل أمر واحد وهو الحجاب..

كانت لين أوّل شخص يراها وتفاجأت لأنّها لم تخبرها، وبالمدرسة اكتشفت ندى أنّها بنفس صف أمير وأوّل ما لمحها أعجب بها كثيرا فلم يكن يتخيّل أنها ستكون بهذا الجمال وهي محجبة..

وجلست ندى وراء أمير وبدأ الاثنان يتعرّفان أكثر فأكثر، وكانت هذه أول مرة يتحدّثان سويا دون شجار، لكنها لم تستطع إيقاف تصرّفاتها الطفولية وقرّرت الانتقام منه وأخذت قصاصات الورق ووضعتها في سترته، وذهبوا بعد ذلك إلى حصّة الرياضة، وفي كلّ مرّة كان يقفز بها كانت قصاصات الورق تتطاير بالهواء، وكانت القاعة تنفجر ضحكا ما عدا ندى والتي شعرت بالذّعر من ملامح أمير الذي نظر لها وقال بصوت خافت: تبا لك، وبعد انتهاء الحصة ركض وراءها وسكب على رأسها المياه، ثم عاد إلى منزله، وبالمساء ارتدى بذلة سوداء ووقف بالمصطبة ليقدّم مشروعا، وكانت ندى تشاهده وهي تحسّ أن صوته يخترق قلبها، فهذه أول مرة تسمع شخصا فصيحا مثله، وابتسمت له دون أن تشعر وصنعت هذه الابتسامة زلزالا داخله، فكأنما العالم توقف واختفى كل من حولهما وبقيت هي وهو فقط، فكأنما قد تسلسل شعور إعجاب إلى قلبها وسكن هناك ليكبر يوما بعد يوم ..

استلقى أمير بسريره بعد عودته من المدرسة، قال لنفسه كيف تدق أيها القلب لمن لا تشبهك أقرّرت عصياني؟ أنا البارد فكيف حرّكتني دموعها؟.

وفي اليوم التالي ذهب إلى المدرسة كعادته، وبالصف افتعل شجارا وكانت هذه أوّل مرة تراه ندى غاضبا، شعرت أنّ هناك نارا تلتهب بداخله تحرق كلّ من يقترب منه، لكنها ابتعدت كثيرا عنه كي لا تكون حطبا يزيد من اشتعاله، وعند انتهاء الحصص خرجت بحثًا عنه، وفور رؤيتها له حدقت به طويلا كأنها تريد وضعه داخلها وبالفعل فقد صنعت بيتا في قلبها له هو وفقط نظرت له برقة وقد زيّنت عيناها بدمعة مخفية، أما هو كان يتأمل طول رموشها وحمرة خدّيها، اكتسحهما الصمت وكان كلّ منهما لا يسمع سوى قلبه الخافق بداخله حبا، ثم نظر أمير لها كأنه تذكّر أمرا ما وقال: أنت هي لقد تذكرت أنت من اصطدمت بي وألقت على وجهي الورود وأنت الفتاة الغريبة التي غادرتني دون أن تقول اسمها، نظرت ندى له بخجل وكان الدم يتدفّق بوجنتيها صانعا لونا أحمر داكنا وقالت: عندما رأيتك أحسست أنني أعرفك لكنني نسيت أين لمحتك، وابتسم الاثنان لبعضهما البعض فأخيرا قد عرف اسم تلك المجهولة التي لاحقها وبحث عنها ولم يجدها وأدرك أنها رقيقة كالأوراق لكنّه حاد كالأشواك وقرّر الابتعاد كي لا يجرحها وبتلك الأثناء وصل وليد، وأمسك ندى من ذراعها وقال: سوف أسرقها منك قليلا، وذهب معها وشعر أمير أنه يريد إبعادها عنه بل يريد قتله فقد سبحت الغيرة بعروقه ولأول مرّة يدرك أنه بالفعل قد وقع بحبّها، وسار نحو وليد وقال له: لا يمكنك لمس فتاة بهذه الطّريقة قالها بأسلوب نصح ووجّه الحروف

لصديقه لكنّه لم يكن يريد سوى إبعادها عن يديه وحبسها بقلبه، وشكره وقال: تعال معنا أتوقّع أنك تستطيع حلّ المشكلة، وجلس الثلاثة بحديقة الثانوية وقال وليد: إنني بالفعل أحبّ لين وأعلم أنها تبتعد لأنها تريد ترك علاقة الصداقة بيننا، وبتلك اللحظة شعر أمير أن النار التي التهبت بداخله قد انطفأت الآن فقط، ابتسمت ندى وقالت: إنها تحبك لكن من وجهة نظري دع هذا الحب نظيفا يا صديقي، ووافق أمير على رأيها واستشهد بقول الله تعالى «لكن لا تواعدوهن سرّا»، وبينما هم يتحدثون قاطعتهم لين وهي تذرف الدّموع وقالت بصوت جريء أحبّك وليد!

•الفصل الحادي عشر: 📖

صـــراخ

كان أمير يقرأ كتاب الله مع بزوغ الفجر بصوت جميل وعذب يبث الاطمئنان في قلب كلّ من سمع جمال صوته وكانت والدته تشكر الله لأنه رزقها بمثل هذا الشاب البار ونزلت دموعها التي أعطت عينيها شكل جوهرة ثمينة ووضعت يداها على قلبها وتذكرت زوجها الذي كان رجلا شهما يرى أولاده وزوجته كنزا عظيما حصل عليه فجعل منهم عائلة دافئة كلها حب وأمان وتذكرت كيف كان يربي أطفاله الصغار على حب الله وقراءة كتابه وأداء الصلاة في مواقيتها وفعلا أثمرت شجرة أمنياته لكنه ترك الزوجة الصالحة والأطفال الصغار في منتصف الطريق وانتقل إلى رحمة الله ليترك في قلب الأسرة جرحا عميقا وحزنا لم تستطع الأيام محوه وذهبت ذاكرتها إلى يوم وفاة زوجها وفقدان رفيق دربها، تذكرت انهيار أطفالها وعدم قدرتها على التخفيف عليهم، قاطع تخيلاتها ودموعها ابنها الذي جلس أمامها ورفع يديه ماسحا دموعها ليحتضنها ويربت على رأسها، نظرت الأم لوجه ولدها رأت في عينيه نفس حنان زوجها، ابتسمت في وجهه وقالت له: لك صوت عذب في قراءة القرآن جعلتني أحس بالأمان. قال لها مازحا: إذا لماذا هذه الدموع التي على عينيك قالت: مجرد قطعة غبار. استمر أمير في احتضان والدته لأنه

كان يعلم أنها بكت لأنّها تذكرت والده لا غير وكان هو الآخر حزينا جدّا ويخفف عن أخيه وأمّه لكنّه أكثر من كان مكسورا حزينا لوفاته وليس باردا كما يدّعي، كان دائما يلبس قناع عدم الاهتمام في النّهار ويبكي بوحدة مع حضور الليل..

وبعد نوم أمّه توجّه إلى المسجد وأثناء الطريق لم يشغل فكره سوى ندى لكنّه طردها من ذهنه وقال: لا أستطيع الارتباط..

وبعد ساعتين توجّه نحو مدرسته، وبذلك اليوم كانت ندى تجلس وراء ساهر نفس الشابّ الّذي ضربه أمير بطفولته، وقد أصدر أصواتا أزعجتها وانتهى الأمر بشجار بينها وبينه، أدّى إلى بكائها وانفطار قلب أمير مع كلّ دمعة نزلت من عينيها، وبعد انتهاء اليوم الدّراسي انتظر الشاب الذي أزعج مدلّلته أمام باب المدرسة وصفعه وقال له بتهديد: لن أراك تقترب منها ثانية ولا حتى من ظلّها ثم ذهب، ووجد ندى بالطريق وقال لها: هل أنت بخير الآن، ابتسمت وأضافت.. نعم شكرا، وسقط من جيبه مفتاحه وكانت هناك خرزة معلقة به لكن أثناء سيرهم داست ندى عليها، وصرخ بوجهها بقسوة ودفعها بعد أن انقضّ على ذراعها بوحشية، أما هي فنظرت له بحيرة وحزن، وقالت بحروف متقطّعة: تدفعني هكذا ولأجل ماذا؟ من أجل خرزة؟، لكنّه تجاهلها تماما وغادر، والتفتت هي لصديقتها لين وقالت: ليس هذا نفس الشاب الذي أعرفه يصرخ هكذا من أجل خرزة؟!..

وسار أمير بين الطّرقات حزينا باكيا فهذه هدية من والده، وندم على صراخه بوجهها، وعادت علاقتهما إلى جوّ البرود والصّمت وبأحد الأيام بعد أن دق الجرس سارت ندى أمامه وهو يحدّق بها ولم يستطع إبعاد عينيه عنها، أما هي فقد نظرت له بغضب كأنها تأخذ دور الطفلة المدللة، وشعر عندها أنه مخطئ وعليه الاعتذار، وقال لنفسه: آه لو تعلمين أنك بابتسامتك قلبي تسرقين، أما كفاك أنّ عقلي بك مشغول وجوارحي تتألّم وإذا رأيتك الألم يزول، وذهب إليها وقال: أنا آسف عن كلّ ما بدر منّي ذلك اليوم إنها خرزة غالية على قلبي فهي من والدي، ونزلت كلماته كالصّاعقة على قلبها وبكت أمامه، وأيقن بالفعل أنّها أرق مخلوق قدر عرفه...

وعادت ندى إلى المنزل والسعادة تغمرها، إنها الآن تشعر حقا بقلبها يرفرف ويهرب من قفص الضلوع الذي يحبسه حين يرى أمير، لكنها أرادت إبعاد هذا الشعور لأنها تظن أن نوعه المفضل ليست هي، وقرّرت أن تسير على خطى جودي آبوت وتكتب الرسائل كما كتبت هي لصاحب الظلّ الطويل، وكتبت بدفترها :

"قررت أن أخوض المعارك بحب عفيف يبقى سرّا بداخلي

وإني في كلّ يوم أعلن أنك الشخص الثابت بقلبي

سأحتضن قلمي وأوراقي أكتب داخلها أسراري

عن ذلك الحب والرجل الرائع الذي سكن فؤادي

يا معذبي إني اخترت الجلد بالاشتياق والموت حبا وعشقي لك، لن أنسى وأحسن منك لم تر عيني

ذو أخلاق وفقه كأنّك اخترت بأيّ صورة تخلق

مسكني أنت وسكينتي أنت اطمئناني وراحتي

أمّا ابتسامتك إنّي حين أراها أشعر كما لو أنك البدر مكتملا

إنّي في غرامك متيّمة عليك الدّلال يحقّ لك به وإنّي الكفيفة حين لا أراك ولا ألمحك وفي لقياك يعود بصري

أساحر أنت أم شهاب في السماء علقت قلبي؟

قررت كتم الهوى ودفنه والله حبّك لا يرضى لبس الكفن

يتنفّس ويحيا كلّ يوم داخل القبر

وأعضائي من بعدك شلّت لا عين ترى ولا قلب ينبض

وعلى خطى العاشقين أسير أكتم العشق خوفا من التفرّق

لا يغريني لا مريخ ولا زحل تغريني أنت فأنت النّجم

جفوني ساهرة تتغزّل بك والشّوق يحرقني إن الأفكار حائرة أتكتب القصائد؟ أم فيك تفكّر؟ الحروف تصدق والقلب أكثر

إنّي أنتظر ثماري لتثمر حبّا بقلبك وغراما وإنّك النبيذ بكلمة تطيح بي سكّري لا عقل ولا فهم

ذكرتك وسكّين الهوى يطعنني، غارقة في الدم قبلت السكّين إنّي أرضى بهذا الطعن".

ثمّ نامت وهي تعانق تلك الورقة..

•الفصل الثاني عشر: 📖

تشجع

لقد لاحظت انجذابك لندى لا تخفي عني يا صديقي، أضاف أمير: الحقيقة هذه أول مرّة أشعر أن هناك فتاة مميزة، كنت باردا وهذه أوّل مرّة أجد شخصا يكسر جليد قلبي، قال وليد: عليك أن تتشجّع وتخبرها.

أمير: لا أستطيع أريد أن أتعفّف بحبّها.

وليد: حسنا كما تريد.

_ كان حوارا بين الصّديقين، وقاطعهما صوت عمار شقيق أمير وهو يصرخ وخرج الاثنان نحو مصدر الصوت، وقال أمير: ماذا يحدث، أضاف عمار: هناك مجموعة شباب يلاحقونني منذ فترة لأنني دافعت عن أحد الفقراء وهم يتنمّرون عليه، فقال أمير: لا تخف نحن معك، وخرج ليتحدّث مع الشّباب وقال لهم من يريد أن تنكسّر عظامه بإمكانه القدوم إلى المدرسة والحديث معي هناك رجلا لرجل، وعاد أدراجه مع صديقه وأخاه نحو المنزل، وتوجّه الثّلاثة لأداء صلاة الجمعة، ومرّت لين وندى بجانبهم وشعر أمير بالسّعادة وابتسمت بوجهه ولأوّل مرّة يحسّ الاثنان بوجود رابط بين قلبيهما فقد شعرا بتناغم دقّاتهما وكذا الدّم المتدفّق بأحشائهما، وبعد انتهاء الصلاة خرجت ندى تنتظر أخاها رائد وبالصّدفة لمحت أمير وهو يصلّي، وعند عودتها إلى المنزل كتبت بدفترها

مرّت بي نسمة رياح فداعبني عطر أنفاسك

والسّكر في شرع الإسلام حرام فما هو شرعك

أصبح سكرى حين أحدّق بمُقلتيك وعينيك

أقتبس الألحان والأبيات من صوت خطواتك

وروحي تنطق بالحروف المكسورة توجهها لك

حروف توارت بين السّطور بحت بها لقلبك

فهل يسمعني؟! كلّ ما فيك يبعثرني حتّى صوتك يشتّتني، صرت أبحث عن فتات مشاعري وأخفي ما بداخلي من سحرك.

وإني عشقت كلمة من أربع حروف أردّدها بكلّ مكان هي اسمك»، وبذات اللّحظة وكأن صوت ندى المشتاق لأمير قد وصل إلى مسامعه بل وشعر به بقلبه وبينما هو جالس مع والدته سكنت تفكيره فجأة، أصبح مجنونا بها اسمها فقط قادر على تغيير ملامحه من الحزن إلى السعادة، كان في حيرة فهذا شعور غريب قد سكن جوارحه وقلبه أوّل مرّة وتأكد أن أسيل لم تكن سوى نزوة عابرة بحياته وأنّ ندى هي الحبّ الحقيقي له، وكذلك هي، فقد شعرت أن الشخص الوحيد الذي تمكّن من أسر قلبها بهذه الطّريقة هو أمير، ونام الاثنان وكلّ منهما يفكّر في الآخر ويريد إخفاء مشاعره خوفا..

ومع السّاعة الثّالثة فجرًا وبين جدران بيت ندى المظلم وأهله النيام كان هناك شخص يسير بالمطبخ وحمل سكينا، كان رائد وقطع شريانه وسقط على الأرض وقطرات دمه تتساقط، ومع أذان الفجر نزلت سارة من أجل الصّلاة، لتجد ابنها ملقى على أرضية المطبخ غريقا بدمه، وصرخت بفزع وذعر، فنزلت ابنتاها وزوجها، وتقدم خالد نحوه يتفحص دقات قلبه ووجد أنه لازال على قيد الحياة ما زرع داخلهم الاطمئنان، وتوجّهوا نحو المستشفى، ونامت ندى وأهلها هناك وهم ينتظرون خبرا يعيد الأمل إلى جوفهم، وكان خالد يفكّر في الدافع الذي ترك ابنه يقدم على الانتحار وإنهاء حياته، وفي الصباح أخبرهم الطبيب أن مريضهم قد دخل في غيبوبة ولا يعرفون متى يستيقظ..

وسمعت لين بما حدث واتّصلت بوليد الذي كان مع أمير، وشعر الاثنان بالقلق على صديقتهم ندى فهي تحب شقيقها جدّا، وشعر أمير أن ندى أول شخص ليس من عائلته يجعله خائفا عليه..

وفي المستشفى كانت ندى تفكر في تصرفات رائد الفترة الأخيرة وعرفت أنه يخفي أمرا كبيرا وخطيرا جلعه يريد الموت ..

وفي اليوم التّالي توجّه الجميع نحو الثانوية من أجل الدّراسة، وكان أمير يرى العالم كلّه أسود وأصبح كفيفا لا يرى أيّ شخص يمرّ بجانبه فقط يبحث عن ندى، إلى أن وصلت ومعها لين وعندما رأى طيفها

شعر أن الدنيا أصبحت ملوّنة بنظره، كان وجهها شاحبا ولاحظ وليد خوف صديقه عليها، وقال له: تشجّع واعترف، قال: لا أدري أخاف من ردّها، ودخل الجميع إلى فصولهم ولم يستطع إبعاد نظره عنها، وقد بقي يوما كاملا يتحدث عن الدين وكان واضحا أنه يفقه في هذا الأمر ما زاد إعجابها به، وبعد أن دقّ الجرس خرجت معه وانضم لهما لين ووليد، وفور وصولهم إلى باب المدرسة وجد أمير من أزعجوا عمار ذلك اليوم ينتظرونه وكان واضحا أنها ستحدث مشاجرة بينهم، وطلبت منه ندى أن ينتبه على نفسه فهي تعلم جيدا أنها لن تستطيع منعه وتعلم كذلك أن أعصابه سريعة الانفعال، وبالفعل فور خروجهم احتدّ الجو بين الشباب وأحدهم كان يحمل سكينا، وقال لأمير: يبدو أن وفاة والدك جعلك تافها، دفعته هذه الحروف المستفزّة للجنون ولم يعد يرى شيئا أمامه، وانقضّ على الفتى يضربه، وباغته بالسكين ولم يتمكن من رؤيته ليمنعه، وصرخت ندى بأعلى صوت لديها وركضت لتقف بوجه السكّين الذي بات مزروعا بكتفها ودمها تساقط على ثيابه، وسط ذهول من الجميع، رفع أمير عينيه ببطء وذعر ولم يعد يرى إلا الدّمار وشعر أنه سيخسرها كما خسر والده، وهنا أغمضت عينيها وهرب الشباب الذين افتعلوا كلّ هذا، أما لين فانفجرت بالبكاء ووليد يقف متسمّرا دون أن يحرك ساكنا.. تحسّس وجهها بيديه بخوف وأصبح يلهث بشدة وهو يقول: أنا لا شيء دونك يا حبيبتي هيا افتحي عينيك ولكن دون جدوى كأنه يحدث جثة

خامدة، واتصل وليد بالإسعاف ونقلوها إلى المستشفى وأخبرهم الطبيب أنها بخير وجرحها ليس خطيرا وهنا شعر الجميع وكأن جبلا قد تزحزح من قلوبهم، وذهب أمير ليحضر هاتفها من حقيبتها ليخبر أهلها وأثناء بحثه سقط الدّفتر الذي تكتب فيه كل شيء عن حبّها له وكل مشاعرها بالوحدة، وناول الهاتف لصديقه ووقف هو يقرأ بذلك الدفتر ففضوله دفعه للغوص داخل صفحاته، وبينما هو يقرأ كل حرف كتبته عنه كان يستقبله بقلبه قبل لسانه، عجز عن الكلام تلك اللحظة، ورغم أن جوارحه تخبره أن كل ما كتبته كان عنه إلا أنه بقي يشعر بخوف يتسلل بجسده، خوف من أن يفقدها أو يكتشف أنها تحب غيره، فقد كانت صورتها تلازم بصره، وشعر أن كل ما حوله سراب، إلى أن فتح باب الغرفة التي فيها ندى، ونظر بفضول ودهشة وكذلك فرح، واندفع مسرعا نحوها وهي ترمقه بنظرات ممزوجة بالحب والحيرة، لكنه سرعان ما تدارك الموقف وقال: آه آه يا ندى لماذا فعلت هذا لماذا جعلتني مجنونا وخائفا من فقدانك، وتوقّف عن الكلام عندما تلاقت عيناه بعينيها وشعر أن شلالا من الدموع سيتدفق، وعندها ناولها دفترها وقال وأنا أيضا أحب تلك الرواية " أنت لي ، واحمرت وجنتا ندى وعرفت أن سرها قد انكشف وأنه الآن يعرف بحبها له، وقاطع حديثهما قدوم أسرتها، وخرج من الغرفة ليتركهم على راحتهم، اندفعت سارة لتعانق ابنتها وتربت على رأسها أما خالد فقال: البارحة رائد واليوم أنت ماذا يحدث لكم؟، ثم اقترب منها وضمّها لصدره..

وقف أمير مع وليد وليـن وقال: قررت أن أعترف لها، واندهشت ليـن لأنها لم تكن تعرف بحبه لها ونظرت لوليد بفرحة وقد كانت السعادة تغمرها بالفعل..

•الفصل الثالث عشر: 📖

الذنب

تستمر الغيبوبة عادةً لمدة أطول من عدة أسابيع. فالأشخاص الذين يفقدون وعيهم لمدة أطول قد ينتقلون إلى حالة من اليقظة دون وعي أو استجابة، ويُطلق عليها حالة إنباتية مستديمة، أو يُصابون بموت الدماغ. ولذلك فإن ابنك رائد من المحتمل أن يستيقظ في غضون أسبوعين أو حتى أقل.

ارتاح خالد بعد سماعه كلام الطبيب فكل ما كان يريده هو إجابة السؤال الذي يجول بذهنه لماذا أراد رائد الانتحار؟، وسار نحو المنزل وهو يفكر وعند دخوله صعد فورا إلى غرفة ابنته ليطمئن عليها ووجدها نائمة.

وكان أمير بمنزله يختار أي ثياب سيرتدي ثم غطى جسده بقميص أسود وسروال لونه أسود كذلك، وقد كان شعره بنيا وكذلك عيناه وأصبح يبدو كأمير الخيال، وخرج من المنزل متعطرا سعيدا بعد أن رسم صورة التي يحبها برأسه وأخذ جرعة من السعادة، والتقى بوليد وتوجه الاثنان نحو محل الورود وكل منهما أخذ باقة لفتاته، باقة وليد كانت عادية أما أمير مزج بين الورد الجوري والياسمين، ثم نظر نحو صديقه وقال: عطرها من ياسمين جعل الدم بداخلي يتدفق، أما سحر خدّها الذي امتزج بورد جوري فإنه يدعوني إلى اللثم والعناق، وهذا سبب اختياري لهذه

الـورود، وخـرج وهـو سـعيد وقطـع عهـدا علـى نفسـه بأنـه سـيعترف بحبـه اليـوم، واتصـل بليـن وأخبرهـا بمـا يريـد فعلـه وطلـب منهـا أن تحضـر نـدى أمـام الثانويـة..

وصلـت الفتاتـان وكانـت نـدى ترتـدي ثوبـا أحمـر وخمـارا أبيـض، ونظـرت نحـو أميـر وأحـس أن نظرتهـا سـهم يقتلـه، واقتربـت منـه ولين أيضـا سـارت نحـو وليـد..

وقفـت نـدى أمـام أميـر فقـال لهـا : لا فـرق بينـك وبيـن هـذه الباقـة أنـت جميلـة مثلهـا تمامـا وأضـاف: "أيـا مـن عينيـك ليـل وشـفاء إنّ الـدم بداخلـي قـد انسـفك

سهم عيناك قاتل ارحمي من بحبك يتصف إني بدقات القلب أفديك

أنت الداء فناوليني الدواء واقتربي إني أثنيك وأهجو بعدك

أ تلك رموش أم سيف بالقلب يطعن؟ ويزيدني عشقا كي لا أهوى سواك

إن نسمة الهواء التي تلامسك أتقاتل معها وأطيل العراك

خلقك الله مـن ضلعي وصرت لـك آدم وأنـت حـواء وفـي حسـنك تبديـن كالمـاك

عجبت من حال قلبي الذي أحاط به الهلاك

حين يلمحك يحيا ويموت بغيابك

وهذه هي الحال أما صدري فإنه ينام الليل وهو مشتاق لحضنك

فكيـف لعطـرك أن يأسـرني هكـذا ويحيـط بيـديّ تلـك الأصفـاد فمتـى يليـن فـؤادك

ويقرر براءتي من ذنب أنت سببه لكنني لا أهوى العتاب وكل ما في الجسد لك

أنت سمائي وقمري عيناك

وما كانت تغريني القبل قبل أن ألمح شفتاك

خذي من سنيني عمرا ومن عيوني دمعا ومن قلبي دما وأضيفيها لعمرك

فأنت الموت والحياة ولا نبض بشراييني من دونك".

لم تكن تعرف أن كل هذه المشاعر يحملها وشعرت أن هذا أصدق اعتراف فلم تر مثله لا برواياتها ولا كتبها وهذا هو أسمى وأصدق حب تجسّد بين عينيها، وهو ينتظر منها ردّا على كلّ ما قاله رمقته هي بنظرة غريبة وأخذت بيد لين وابتعدت عن المكان، وشعر بالغرابة وأحسّ أن كل ما فعله كان مضيعة وقت فهي لا تحبه..

وفي الطريق أوقفت لين صديقتها وقالت: ماذا حدث؟ ردّت عليها: اعترف بحبّه كان رائعا لكن لم أجد كلاما أقوله، أضافت لين: أنت مخطئة عودي أدراجك اعترفي..

كانت كلمات لين هي مصدر الشجاعة الذي كانت تريده ندى، وبالفعل عادت حيث أمير فهو قلبها وحياتها، وقفت أمامه والدموع تنفجر وتهطل بغزارة، وقالت بصوت خافت: أحبك، كانت هذه الكلمة هي الزلزال الذي حرّك قلبه، وشعر أنه يريد سماع تلك الكلمة منها ثانية فقال : ماذا؟، قالت: لقد سمعت، ورسمت بسمة صغيرة على شفتيها، أما هو فكان

يريد عناقها بل قرص خديها، وها هو الربيع يزهر بينهما وقد أضافت الحياة عاشقين جديدين ليس قيس هذه المرة بل أمير..

وفي المنزل بقيت ندى تغني طوال اليوم وهي سعيدة جدا بحصولها على هذا الحب، أما هو فقد شعر بالذنب فهو يعرف جيدا أن ما يفعله ضد دينه وأنه الآن أصبح في علاقة محرمة تحت مسمى الحب..

وفي المستشفى فتح رائد عينيه ونهض من غيبوبته، ونادت الممرضة على الطبيب ليفحصه ليكتشف أنه فقد قدرته على الكلام وأصبح أبكما، واتّصل الطبيب بخالد ليخبره عمّا حدث..

وبالمدرسة وفور دخول ندى إلى الصف شاهدت أمير وهو يتحدث مع فتاة أخرى فشعرت بغيرة كبيرة، وظن أنها ستلقي عليه السلام لكنها تجاهلته تماما، ومر اليوم هكذا وتابع حديثه مع نفس الفتاة وهي تشتعل من الداخل، إلى أن قررت إشعال قلبه كما يفعل معها وذهبت لتتحدث مع ساهر، وحين لمحها أمير استشاط غضبا، وضرب الطاولة بشدّة ما جعل الجميع يصمت أما هي فنظرت له وأدركت أن ألسنة اللهب تسري بجسده، وبعد انتهاء الحصص توجه نحوها وقال: كيف تفعلين هذا؟، وأضاف: نحن متخاصمين الآن، ودون أن تنطق بحرف تركت المكان وعادت إلى بيتها، جلست بسريرها لتكتب بدفترها..

" وإن بيننا فتاة أتمنى تمزيقها وجعلها فتاتا كي لا تدركك

أنانية برؤيتك فتبّا لعين تلمحك

لو كانت رموشك امرأة لقتلتها كيف لها أن ترافقك

غيرة تجعلني في حيرة كيف سأعيش حين أتركك

حين نصل لآخر الطريق ولا أستطيع رؤيتك

كلامي من بحر عميق استخرجته وبقلبك أريد أن أنقشه

إن النجوم حين ترى نورك تخجل وتعود لتزين السماء وأنت تزيد سماء روحي حسنا بطيبتك

أعشق بقاءك بقربي وعيناي تتلاقى بعينيك

أعشق صوتك حين قال أحبّك وأعشق جمالك وخجلك

احمرار وجنتيك ويديك التي تلامس وجهك إعلانا بحيائك

أغار عليك من الهواء أغار عليك من نفسي وعيناي التي تريد سجنك

أغار عليك من أم تحميك وتحنو عليك فليتك تعلم»، واستلقى هو الآخر على سريره وهو يشعر بحزن شديد لهذا الخصام الّذي حدث بينه وبينها، رفع رأسه نحو السّماء قائلا: ربّاه! ستنام غاليتي بعيدا عني مجروحة وحزينة لا تجد من يواسيها ليتها كانت تسمعني وترى مشاعري المبعثرة عيناي التّائهة وقلبي المحطم عندما أرى عينيها الباكية، كان ينظر إلى السّقف يتخيّل عينيها وهي تحدّق به بكلّ حبّ كان في حيرة فائقة كيف لعينين أن تكون بهذا الجمال والرّقّة، سحب البطّانية وغطّى رأسه كاملا،

بقي هكذا حتّى نفذ الأوكسجين في صدره وشعر بحرارة تسري بجسده وبين عروقه أزاح البطانية جانبا واستنشق الهواء وردّد داخل صدره قائلا: إنّه الحب، كان يريد النّوم ولكنّ الأفكار لم تسمح له، كان غير معتاد على السّهر لكنّ قلبه كان يدفعه للتفكير المستمرّ بها كان ينادي باسمها كالمجنون يبحث عنها بين الآخرين عندما يراها يحسّ بالرّاحة وينتهي ضياعه كان يحسّ أنّ قربها يرتّب عقله المشوّش ويرفع هرمون السّعادة في قلبه كانت الشّخص الوحيد الّذي يؤثّر فيه كان يرى نفسه الجبل الّذي لا يتحرّك، ولكنّ لُطفها وحنانها جعل الجبل يتزعزع تمرّ الدّقائق لتدفن حبّها بقلبه..

وفي صباح اليوم التّالي اتّجهت ندى نحو المستشفى لتطمئنّ على شقيقها، وحين وصلت ودخلت إلى غرفته وجدته يبكي بحرارة، ونظرت بحيرة فكتب على ورقة، "لقد اقترفت ذنبا"، وناولها لأخته، لكنّها لم تفهم شيئا ولم تعرف ما هي الجريمة الّتي قام بها رائد..

وخرجت من المستشفى وهي تشعر بحيرة شديدة واتّجهت نحو مدرستها لتجد أمير أمام باب المدرسة ينتظرها لكنّها دفعته ودخلت، ولحق بها ووقف الاثنان في السّلم يتحدّثان وانهمرت الدّموع من عينيها وقالت: هل تحبّني حقّا؟!، لكنّه وقف أمامها بكلّ برود، لم يكن يريد إظهار حبّه لها ولم يكن يريد أن ترى أن وجودها يجعله ضعيفا، كان يتأمّل ملامح وجهها واحمرار وجنتيها واضطراب نظراتها الّتي وجهت نحوه

كسهم قاتل، كان يتمنّى أن يضعها داخل قلبه ويغلق عليها الأبواب التي كسرها الدّهر ربما تجبرها بابتسامتها ونقائها، كان منذ أوّل مرة وقعت عيناها بعينيه قد أحسّ بشيء غريب، فقد دقّ قلبه بغموض، كان يتساءل هل هذا خلل في كريات الدّم بشراييني؟ لم يجد إجابة سؤاله حّتى رأى دموعها تنهمر من عينيها رغما عنها، أمير الضخم ذو القامة الطويلة والجسد العظيم يقف مكتوف اليدين وهو يرى دموع معشوقته تسقط دون سبب، رفع يده نحو عينيها ومسح تلك القطرات اللّامعة، كان مشهدًا رائعا وبصوت خافت اعترفت له بحقيقة مشاعرها قالت أحبّك، سكت للحظة ولم يتكلّم وكان في حيرة من أمره، كان يُريد أن يحتضنها في تلك اللّحظة بحُضن حميم يجعل عظامها تنغرس داخله لكنّه لم يستطع فعلها، دون أن يجيبها بكلمة واحدة، تراجع وغادر المكان تاركًا إيّاها غارقة في أسئلة تحاول إيجاد إجابة لها أوّلها هل يحبّني كما أحبّه؟ بقيت جامدة في مكانها تراقب خطواته وهي تبتعد وفي تلك الخطوات حرارة كبيرة، كلّ ما ابتعد عنها أحسّت أن قلبها يريد الانصهار، كانت تشعر كما لو أنّ قلبها يريد التكلّم لكنّه يتلعثم في النّبض دقّات مسرعة جعلته ينزلق لحظة بعد لحظة، في تلك اللّحظة توقّف هو من الرّكض ونظر نحوها قائلًا وأنا أحبّك صغيرتي، بعد تلك الحروف ازدادَ شعور ندى بالأشياء الغريبة تتحرّك داخل جسدها، أمّا الفتى المسكين فقد كان يجري بسرعة تجاوزت الرّيّاح أراد إخفاء فرحته بشتّى الطرق والعودة أدراجه نحو

طفلتـه وأخذهـا بالأحضـان، لكنّـه تذكّـر فـي تلـك اللّحظـة والـده الّـذي توفـي وتركـه وحيـدا وقـد عـاش التّعاسـة بيـن أصدقائـه، فكّـر فـي أنّهـا مـن المُمكـن أن تتركـه كمـا تركـه الجميـع لكنّـه حقّـا قـد تـرك لهـا منـزلا صغيـرا فـي جوفـه تقطنـه هـي فقـط وأحـسّ أنّ جروحـه قـد التأمـت بوجودهـا، فترامـى علـى مسـامعه صـوت رقيـق يناديـه بخـوف "أميـر!"، أدار رأسـه بتعجّـب فوجدهـا حيـن رآهـا ابتسـم فقـد وقفـت أمامـه بصغـر حجمهـا، نظـر نحوهـا وقـد طالـت تلـك النّظـرات الّتـي عبـرت عـن الحـبّ المتبـادل بينهمـا، وقـد وقـف الاثنـان متحجّـران بمكانهمـا مـرّت برهـة وهمـا يحدّقـان فـي الفـراغ إلـى أن أمسـكت نـدى يـدا أميـر وحينهـا دبّـت رعشـة قويـة بيـدي كليهمـا وقالـت لـه "إنّنـي الشّـخص الثّابـت بقلبـك سـأعلن كلّ يـوم أنّنـي أُريـد شـنّ الحـرب ضـدّك لكنّنـي أرفـض الخسـارة أو تـركك"، شـعر حقّـا بأنّهـا الشّـخص الوحيـد الّـذي لـن يتركـه مهمـا حـدث ربـت علـى رأسـها وهمـس فـي أذنيهـا قائـلا "والمشـاعر متبادلـة"، بينمـا كانـت الدّمـوع تغشـى عينـي نـدى عـن الرّؤيـة، وأنظـار أميـر قـد شـلّت وهـو يتأمّـل رقّتهـا ودموعهـا المنهمـرة، تذكّـر الاثنـان خصامهمـا وقـرّرا التّصالـح..

•الفصل الرابع عشر: 📖

الغيرة

كانت فترة ما بعد الظّهر هي أكثر ساعات ثقيلة على قلب أمير، فقد كان جالسًا بالمسجد وتذكّر والده وزاد إحساسه بالذّنب بسبب ارتباطه بندى، لكنّه تعلّق بها ولا يُريد تركها أو حتّى الابتعاد عنها.

بدأت سارة بتحضير العشاء وقد لاحظت التّغيير الكبير بشخصيّة ابنتها التي أصبحت سعيدة دوما وكثيرة الضّحك والمرح على غير عادتها، ونادتها لتعمل معها وقالت لها: هل تخفين عليّ أمرا ما، فقالت ندى: بالطّبع لا، قالت سارة: اسمعيني يا حبيبتي، صحيح أنّ المرء يظن أنّ الحب شعور جيد لكن إياك والدخول في علاقة محرّمة، اخترق هذا الكلام فؤادها وشعرت بذرّات الأوكسجين تخنقها مع ذلك الندم الذي يسبح بداخلها، وأخفت توترها بسؤالها عن أختها التي انتقلت للعيش مع جدّها وجدّتها وقالت: كيف أخبار هدى؟، فقالت سارة: إنّها بخير، وهنا عاد والدها ومعه رائد..

جلست ندى بنافذتها وهي تتحدث مع لين بالهاتف، وشعرت بأن هناك شخصا بالخارج ونظرت من النافذة لتجد أمير، وبقي الاثنان ينظران لبعضهما وألقت ندى له ورقة كتب فيها «كتبت القصائد اعترافا بحبي لكن الحروف لا تليق بمقامك إن عينيك لوحة جميلة قرّرت رسمها

وتعليقها داخل جدران القلب القديم»، وبعد قراءته لها شعر بالسّعادة لكنّه أخفى الابتسامة، فهذا طبعه وغادر المكان، وأمضت ليلتها وهي تحادث صديقتها عن مستقبلهما..

ومرّت الأيام بين الدّراسة والغزل وكان أمير يعلّم ندى أصول الدّين وقد تقربت لربها كثيرا بفضله، وكلاهما بدأ يشعر بالذّنب من هذه العلاقة التي لا ترضي الله، وكان يرى كوابيسًا بليله وبدأ يدرك أنّه تحذير من ربّه كي يبتعد عن هذا الذّنب..

غاب أمير بهذا اليوم عن المدرسة وجلست ندى أمام طالب تعرفه، وقد كانت قريبة منه بشدّة وبتلك اللّحظة دخل أمير إلى الفصل ليشاهد حبيبته بذلك المنظر، كان شديد الغيرة وشعر بالحرارة تسري بين عروقه، ومنذ ذلك اليوم تغيّرت طريقة معاملته لها، أصبح يتجاهلها وبيوم وهو ذاهب إلى المسجد التقى بها أوقفته وقالت: ما سبب هذه المعاملة؟!، فقال: ألا تفهمين أنّي أغار، ثمّ دفعها وأعرض عنها ومشى ..

كان هو الذّكاء وهي الحنان يفكّر بعقله وتفكّر بقلبها، كان يشبه بداية الرّوايات السّعيدة ظاهر ويسهل قراءته لكنّها كانت كالعُقدة في الحبل يصعب حلّها، كانت عبارة عن سطر مخفيّ داخل قصّة لا يفهمه إلا من تعمّق في حروفه ومعانيه، هو الإحساس وهي التّهوّر، هي الرّقّة وهو الحدّة، كان ما يجمعهما هو نقاء القلوب والطّيبة، حبّ الأطفال مثلا كان بينهما نقاط مشتركة محدودة، الحبّ بينهما مختلف وحلو في نفس

اللّحظة كقهوة الصّباح مرّة لكن تجعلك نشيطا، كانت تعبر عن غضبها بالحروف والكتابة أمّا هو فيكسر كلّ ما أمامه، هي الدّموع وهو السّكون والهدوء، هي الطّفولة وهو النّضج في بوادر ذلك الشّعور كان يحسّ أنّهما مثل الزيت والماء لا يلتقيان لكن الحبّ يجمع المختلفين دائما، كان الجبل الذي يتظاهر بالبرود وكانت الحرارة التي كسرت جليد قلبه، كان يحتاج الحنان وكانت له الرّقّة والأمان جحر يختبئ فيه من غدر البشر، هي أوراق الورود ناعمة لا تجرح لامسها وهو الشّوك الّذي في قلبه آلاف الانكسارات، حبّهما كان تناقضا، صراع بين الحكمة والشّعور حرب حارقة بين القلب والعقل وأيضا كانت ثلج ونار كلاهما يحارب لقتل الآخر ويعودان بحضن دافئ يضمّدان جروح بعضهما لقد افترقا، ولكلّ قصّة نهاية لكن قصّتهما ليس لها نهاية، فإن كان الأسود والأبيض كالطّباق فهما يجتمعان في اللّون الرّمادي وسيجتمع الشّوك مع الورود يوما صانعًا حديقة رائعة تحتضن الحبّ والطّمأنينة.

وأثناء سيرها نحو المنزل مكسورة حزينة بسبب هذا الفراق المُفاجئ ودون أن تنتبه اصطدمت بعجوز تمشي بالطّريق ونزلت لتساعدها، ولكن عندما نظرت إلى عيني ندى قالت لها: تعيشين التّعاسة لكنّك ستفرحين هناك سرّ سوف يغيّر حياتك، لا تتعلقي كثيرا بالظلام فالنور قادم، شعرت ندى بالحيرة ونهضت العجوز وهمست بأذني ندى: سبعة، ثم غادرت بعد أن زرعت بقلب الفتاة شكوكا وخوفا، وذهبت إلى لين وحكت لها ما

حدث وبعد بحث مطوّل عن هذا الرّقم، وجدوا أنه رقم مميز في الدّين، وتذكّرت ندى أيضا أن سنة ميلادها 2007 وكذلك أمير، وبعد تفكير تذكّرت أن بينهما سبعة أيام فيوم ميلاده هو السّابع من شهر يوليو ويوم ميلادها هو 14 من نفس الشّهر، وما جعل الخوف يتسلل إلى قلبها هو أن هذا الرقم من الممكن أن يجمعهما كما يمكن أن يفرقهما، لكن لين قالت لها: مجرد خرافات، وعادت إلى بيتها ولم يشغل فكرها سوى تلك العجوز، وفي الليل وأثناء نومها رأت بحلمها رائد وهو يدفن شيئا بالحديقة، ونهضت خائفة جدّا ومفزوعة، وتذكّرت ذلك اليوم عندما شاهدته يحفر بالحديقة ..

وفي الصباح خرجت ندى مسرعة نحو حديقة المنزل وحفرت بالتراب لتجد علبة دواء كان مسكنا اسمه ديكلوفيناك، وعادت إلى المنزل وفتحت الهاتف لتبحث عن هذا الدّواء لتكتشف أنّه مسكن ألم له آثار جانبية على نظام الدّورة الدّموية للقلب، وتذكّرت أن شقيقها يعمل ممرّضا وأن اليوم الذي شاهدته به بالحديقة وكان متوتّرا كان بعد وفاة والد أمير، وزادت شكوكها حوله خصوصا بعد محاولته الانتحار وبعد تلك الورقة التي تتحدث عن الذنب، اتّصلت بوليد تسأله عن سبب وفاة والد صديقهم واكتشفت أنه قد مات بسكتة قلبية، وسألته: هل تم تشريح الجثّة؟، ردّ عليها: لا لأنّه بالأصل مريض قلب لكن لماذا هذا السّؤال، قالت: أردت أن أعرف فقط، وقطعت الاتّصال، وطردت الشكوك من ذهنها كي لا تؤثر على

علاقتها بأمير وخوفا على شقيقها وقرّرت أن تنتظر عودة صوته لتحصل على إجابة لكل ما يجول بفكرها، وذهبت إلى المدرسة واصطدمت بأمير أثناء دخولها الفصل فهمس بأذنها أنت أميرتي، ولاحظت أنه حزين ويفكر كثيرا بذلك اليوم وأرادت التخفيف عليه، وشعرت بالحيرة فكل ما يشغل فكرها هل أخوها حقّا قام بالقتل أم لا؟!، وبعد انتهاء اليوم الدّراسي توجهت نحوه وقالت له بجرأة: «أما آن لقلبك أن يذوق طعم الحنين ويأتيني هاربا من الأنين

أما رأيت صدق مشاعري وتأكّدت من أني في حياتك شخص لا يخون مهما طالت السنين

ما بال غيابك قد طال وبعيدا عني قلبك قد سار وارتدى لثام النسيان؟

أراك كل يوم تغرق في حزنك وفي غابة مظلمة صرت تائها أنتظرك كلّ ليلة لتهرب داخل أحضاني من أحزانك ونور الفجر يوقظ أوهامي بحزن إنّك بدر مكتمل في ليالٍ باتت مظلمة تنير داخلي والعقل يرى الحبّ وبه يوقن وإني غرقت في بحرك وعشقت تفاصيلك فيك الأمان

تراك العيون تغرم وحبّي لك فوق كلّ الظنون

لو كنت أعلم أن راحتك في أن تهجرني لسرقتك وأسرتك في قلبي فعليك يدمن لسهرت الليالي معك وغمرتك وسبحت بعطرك، لاحتضنت صوتك وجعلته لحنا شجيا تستحسنه الأذن

مطلبي أنت فأنت المسكن

أيا وطني إني لاجئة واشتقت أن أطأ ترابك وأسبح في سمائك والحب كل يوم يولد والكلمات عنه لا تعبر

رؤيتك تضمد جراحي ونظراتك حين لقيا العينين ببعضها تسحرني في صمت وسكون

همست في أذني بأني أميرتك جعلني الدهر أسيرتك

أنت نبضي أنفاسي ودمي الذي يسري بعروقي أنت وطني وأريد الموت على أرض قلبك إعلانا بحبي

دمت لي شيئا جميلا لا ينتهي دمت قاتلا لروحي تعشقك ولا تبالي»، ورد قائلا : دمت أميرة لقلبي لكنني أريد ترك الحب العفيف بيننا سنتعذّب كثيرا بسبب هذه العلاقة، كلّ ما بيننا حرام ولن ترضينا النهاية، ألم تري بعد أن الله يرسل لنا إشارات كثيرة أن علينا الابتعاد؟ قالت ندى: بالفعل ولكنني أحبك، قال: وأنا أيضا وأعدك أنني سأتزوجك بيوم من الأيام، أنت قمر يضيء ظلام قلبي وشمس تطلع لتشرق نفسي، إنك حلوة تعجبين شفاء لي فأنت للعسل تشبهين، بابتسامتك قلبي تسجنين أحبّك هذا أمر يقال وأن أكرهك فهذا محال، ونظر نحوها وابتسم، أما هي فقد رفعت يديها ووضعتها على قلبه وأحسّ أنّ نارا قد تأجّجت حول يديها وصدره، وقالت: كلّ ما أريده هو سماع دقّات قلبك حين أكون بقربك، أريد معرفة مكانتي بالنسبة لك، فقال مكانك بقلبي ولن يكون لك بيت سواه، وأبعد يداها عنه وغادر المكان، وسارت هي بين الطّرقات تذرف الدمع تحسرا

وتفكر في رد فعله إذا عرف أن شقيقها هو من قتل والده، وأرادت أن تموت بتلك اللحظة، عادت إلى المنزل لتغرق بحزنها وسقطت عينيها فجأة على رواية أنت لي، المفضلة بالنسبة لها وله، واكتشفت أن عام طباعتها هو 2007، ووجدت بالفعل أن هذا الرقم قد جمعها هي وأمير كثيرا، وسمعت بتلك اللحظة صوت الباب يطرق ونزلت لتجد وليد وأمير بمنزلها يريدان الاطمئنان على أحوال رائد، ودخل الاثنان إلى الغرفة وحين لمح رائد أمير دخل في حالة هستيرية من البكاء وتأكّدت ندى أنّ أخاها حقّا قاتل..

•الفصل الخامس عشر: 📖

اشتياق

كنت ضالة وأنت الذي بنصحك لطريق الصّلاح أعدتني
ملتزما ذا أدب وأخلاق بفضلك بربي قد زاد تعلقي
متمرد عن كل قانون بني البشر ونحوك لازال دائم انجذابي
ولي سر قد خفا حين رأيت منك الجفا فمتى تلاقيني
همست لك أنني أحبك وكل من عرفني عرف أنه صادق الوعد صوتي
تقي أمام بيت الرحمان شاهدتك تسير في توقر وحياء وأخذت معك عقلي
زل لساني حين حدّثتك وكشفت لك ما بداخلي قد خفا ورأيت معصيتي
كأنك الهلال الذي حين أشهده أصوم عن كلّ رجل وبك إفطاري
لم يكن يوما ذا اللسان بناطق وبك انفكت عقدة لساني
إن لك بقلبي بيت قد بنيته وحين غبت أمسى خرابا وأبى جسدي أن يرى غيرك يسكنني
رفقا بقلمي الذي أنت ملهمه قد جف من غزل كل يوم يكتبه فحبك قد كسر بكمي
كرهك لي شؤم خفته ولم أر تقى كتقاك، أين صوتك الذي كان يقوّيني؟
تهت أثناء بحثي عنك ولم أجد للآن دربي
وتهمس أناملي للأوراق وتخبرها عن حروف تريد أن تخرس بداخلي

بجفوني الدمع قد جرى حتى ظننتها سحبا وما فائدة نحيب الميت بقبره بعدك قد لبست كفني

ورأيتك بين العينين حين أغمضتها وسرقت مني النوم

أدمنت التفكير فيك والقلب لا يلام

أخاف عليك وأرى عواصف بداخلك تتناغم

أراك أمامي واقفا ولا أستطيع أن أرتمي بحضنك لقد رضخت للانهزام

ما كان يوما ذا القلب كاذبا وزاد صدقه حين أحبك وصرت له إلهام ا

نار قد أشعلتها الغيرة ولهيبها من شوق بداخلي تبرم

سرقتني من حياتي والسرقة حرام

سأهديك من العقل ذكريات ومن الصلاة دعوات ومن قلبي دقات تتلعثم

كل ما فيني بات مشتاقا حتى كلماتي تريد أن تبوح بالسر وأنت أمامي فلعلك بالحقّ تحكم

كلّ يوم أنتظر أن أراك فتسرقني من الدّنيا كأن لا أحد سواك أراك فقط أنت حولي تحوم

أنت نجم وحيد في عيني وأميزك وسط الزحام

أيا من جعلتك لوحتي حين رأيتك وجعلتك قصيدتي حين رميتني بالسهام

أيا من جعلته كتابا أتصفحه كل صباح وأتمنى أن يزول من بيننا الخصام

لست ملكي وقد خسرت الدنيا بخسرانك ورضيت بداء ليس له دواء

جريمة تم فيها قتلي وأنت المتهم

لا عدالة في الحب ولو كان منصفا لما تركتني جف قلمي والأوراق من دموع تساقطت عليها قد تمزقت

وقررت أن أسهر ليلي لأكتب لك من دم القلب عن ما فيه من غرام، كانت هذه الحروف التي باتت تخوض صراعا في عقلي كتبتها للأوراق، لقد اشتقت إلى من سكن قلبي، اتّصلت بلين من أجل أن ألتقيها ونتحدّث فأنا في ضعف وأحتاج شخصا معي، خرجت من المنزل ذلك الغار الّذي أصبح يخنقني كلّما لمحت رائدا، فأنا حقّا تائهة ولم أعد أدري هل هو مجرم أم لا وقد طال صمته، وهنا التقيت بصديقتي وجلسنا سويا لنتحدث وسألتها عن وليد وعرفت أنهما أيضا قد انفصلا، فقلت لها: ما دق القلب قبله أبدا وحين رآه أدرك أنه له أسير

الفؤاد به يهيم ولا يريد نسيانه وبالقدمين نحوه أسير

العينان حين تراه تلمع وتضيع مسار رؤيتها لا شيء يجذبها سوى ملامحه عيناه وفاه

أحسن الله خلقه وكذا خلقه فقيه ما رأيت وفاء كوفاه

تهذيبه جعلني أهذي به لم يحك قبلي عن ميت يستغيث

أزاح عنه التهمة وزرع بين قلبينا السّلام ثم أعرض عني وألقى السلام

كل ما فيني نحوه قد مال فلا يغريني لنسيانه لا زحل ولا مال، أنا حقا في حيرة أعرف أنه تركني لأنّه يحبني، لكنني صرت ضائعة أريده بجانبي ولا أريده أن يتركني هكذا أخاف أن أفقده، فقالت لي:

ليس الحب ضعفا بل قوة بعد انكسار

وليست الأحلام مشقة بل إشارة الرحمان من قمر أنار، عليك يا صديقتي بالصبر فما يراه الله خيرا سوف يأتيك ثم ابتسمت لي وقالت علي المغادرة..

شعرت أنني حقا وحيدة ولم أعد أعرف ما علي فعله وقررت مواجهة رائد بكل ما عرفته..

وعدت أدراجي نحو المنزل، وقفت بغرفتي أخذت علبة المسكن وذهبت إليه وفي طريقي وكأن كل الدنيا تحاول منعي لكنني دفعت كل شعور يخبرني أن ما أفعله خاطئ وأكملت طريقي، وحين وصلت قلت له أنني وجدت العلبة بالحديقة وأنه من دفنها، وهنا بكى أخي كثيرا وشعرت بقلبي ينفطر على حاله، وكان يحرّك لسانه لأنّه يريد الكلام وبالفعل قد نطق وقال لي: لم أكن أعلم ظننته المسكّن وبعد أن حقنته اكتشفت أنّني اقترفت ذنبا وحقنته بحقنة تسبّب له الموت، كنت مبتدئا ولم أتعمّد فعلتي، صدقيني لم أكن أريد موته، ثم انهمرت الدموع من عينيه وانفجرت كالنافورة وقال لي: بإمكانك إخبار الشرطة، لكنني قلت: لن أخبر أحدا، وخرجت من غرفته مكسورة الجناحين ووقفت أمام مفترق طرق من جهة الشاب الذي أحببته ومن جهة أخرى أخي .

وأحسست أن الزمن يطويني بين أوراق الذكريات القديمة والزمن الضائع ألعب مع الوقت سباقا أيقتلني أم أقتله لمحو الألم أو زرع السعادة أشجار

الخريف تسقط أوراقها الصفراء تتخلص منها تحضيرا للرّبيع، لكن جذور قلبي ترفض إسقاط أوراق الحزن ولا تزال تبحث عن ربيعها بئر الدموع يمتلئ بالسّقم، أشرب منه فيسبح السمّ بين عروقي يختلط بدمي صانعا أغنية أكتب أنا الحروف وأعزف لحن الموت بآلات موسيقية أوتارها من إبر تجرح أصابعي أثناء العزف وقطرات الدم تزين حوافها فتلمع بلون أحمر تحت الظلال، أهرول بين الغابات هربا من شعور الخيبة وزيف المشاعر في قلوب البشر التي بينها أعيش، حفرت أخاديد لطفولتي الشقيّة بين جدران ذلك المنزل العتيق أستنشق عبير الأسى لكلمات أرتبها داخل الأوراق أكتبها فتطوى بين السّطور وتظلّ في ردهة الذاكرة والروح كهلة من العلل أمشي حافية القدمين فوق الشوك بحثا عن المستقبل المجيد دون الشعور بالألم سرت تحت قطرات المطر وضوء القمر ليالي طوال أبحث عن من في قلبه نقاء وصفاء وحاجز الغدر يقف في وجهي يخيفني وبداخلي طفل يهوى عيشة الأمان رأى من الزمن جانبه المخيف قتل بداخلي وإني كل يوم له أعود أستجدي منه الأنفاس أطلب منه أن يكسر قيود السجن الذي أنا فيه أطلب منه أن يعود للحرية وما من مجيب أحتضن وحدتي في الظلام الحالك أبحث عن النور والعين لا تبصر وكفيفة قد أصبحت، يراودني شعور رهيب أبحث عن الحكمة مما أعيش، أصبحت مذنبة مع أخي بل وقاتلة كيف أخفي هذا السر عن من أحب؟!، أعيش التناقض حقا، فتبا لزيف البشر..

استمرّت الأيام والشهور وندى لا تفعل شيئا سوى التّفكير، وقد لاحظ رفاقها تغيّرها، وكان أمير يظنّ أنّه هو السبب في هذه الحال التي وصلت إليها، وذهب إليها وقال إن كنت السبب سامحيني، قالت وقفت أفاوض الدنيا لأشتريك، رفضت بقسوة وقالت إصرارك على امتلاكه مريب.

وضعوا بيدي الأصفاد ونعتوني بالمجرم الغريب وجريمتي حلوة كانت الحب أجبني ما العجيب

أيا ناسكا بين جدران المسجد رأيتك ساجدا متعبدا ولنفس الإله إني قوامة الليل ومنه أطلب أن يعطيني إياك يا له من أمر مستحيل

إني على جوهرة مثلك أبحث زرت المناجم لعلي فيها أجد لك شبيها قالوا جوهرة نادرة لا يوجد في الكون سواها

أيا من تصبح طفلا حين تفرح وحكيما حين تحزن، تارة تهرم وتارة تصغر أيا من منزله في جحر القلب ماذا فعلت بجبل لا يتزحزح؟

أردت أن أحميك والدماء مني تسيل والدموع من العيون تسقط أما الروح فتكاد تخرج والمنية تقترب

القلب يبكي واللسان أضاع دربه نبضاتي أصبحت تتلعثم والعقل برجاحته يرد إنك السقم تفضل ربما جروحي تندمل

تفضل زرني نعم الزائر أنت وإني أكرم الضيف إذا أتاني رفقا بأبوابي حين تطرقها فخلفها من له شهور ينتظرك، رفقا بجدران القلب حين تلمحها

لا تستغرب حين ترى صورك بداخلي معلقة، إني كل ليلة أزورها أتذكرك، حبي لك سر قد دفنته لن تراه مجددا إني أعدك، رمقها بنظرة حزن وقال: تعرفين جيدا سبب ابتعادي لست أكرهك فلماذا تريدين نسياني وحب غيري، قالت: لست أدري أحس بعدم الأمان أشعر أنك ستتركني، قال: عام واحد وصدقيني سوف أكون في عقر دارك لأطلبك..

جعلها كلامه في صراع بين عقلها وقلبها فهي تعلم جيّدا أنّ أعزّ شخص له هو والده، وتعلم أيضا أن شقيقها من قتله لكنّها لم تدرك بعد ما الّذي يجب أن تفعله..

ومرت الأيام وقد زرعت كل تلك التعثرات بقلبها حب الدين والدراسة ووضعت هدفين نصب عينيها ختم كتاب الله وأن تصبح طبيبة..

والتقت صديقتها لين وقدمت لها رسالة كتبتها لها كتب فيها: ذلك اليوم في دوامة تركتك والحيرة تعلو تقاسيم وجهك، وما كانت بسمتي حينها استهزاء، ولا رحيلي عنك تخل، بكلماتك ألهم قلمي، ودماء قلبي حبر على ورق، ليس هذا بألم بل حب يتدفق كالدم، وبكلماتي هذه قد أفلح في إجابة أسئلة طالما سمعت روحك تهمس بها بين سطور حديثنا، ولم أستطع حينها رمي سهمي، ليصيب الحقيقة المحسومة المكونة بداخلك، فيزيد وعيك ويمسح عن قلبك الحيرة، الآن سأمسك يدك وسأحاول دفعك، لتسيري خطوات في طريقك، وهذا سبب بسمتي أنت في بداية الطريق الصحيح، وتخشين الجري فيها وهذا سبب حيرتك وتشتّتك، بإذن الله

ستدركين هذا في أولى خطواتك، لا تتعجلي في كشف سرّ الدنيا فالكلمات سترشدك، إن أصاب قلمي فلن أطلب منك شيئا في المقابل، وإن أخطأ فهي زلة من نقص تجاربي ،أوهام نعيشها نظن أنها الحقيقة، وتمر السنين والأيام الوردية الوهمية، وفجأة ودون سابق إنذار تظهر الحقيقة بكبريائها ومرارتها التي تخفي شفاء يليها، لم يكن فراقكما اليوم إلا بلقاء في الغد فلا تحزني هكذا، طالما بحثت روحك عن ذلك الجزء، جزء مفقود من أحجية ذاتك، لا بدّ من أن يلامس القلب جروح القلب، والنفس يجب أن تبوح بما لم تبح سيري خلف قلبك والصّواب، يجب أن تكون الحقيقة هي اليد التي ستنتشل الغارق من محيط خذلانه، حان الوقت لتفكي حبل التعلق من حول قلبك والحميه بحبل الله، لا تنسي أن الله يغار على قلب عبده، إن أحب شخصا حبا شديدا كوني أنت وربك فقط واجعلي من الآخرين إضافة جميلة لحياتك العامرة، أرخي قبضة يدك الممسكة بحب تخافين هروبه، فهو لك وليس لغيرك وإن أبى، الحب الحقيقي ليس زمان ولا مكان الحب الروحي يختزل المسافات والأزمنة بل وحتى الأبعاد، هو حب لا مشروط، دقات قلب لا تعيقها معيقات مبدؤه حب الله وأوسطه حب الذات وآخره حب الحبيب، فالحب الحقيقي لا يخدش الكرامة والكبرياء، بل يحطم الغرور ويطهر الروح، ولن تطهر إلا بالألم والمعاناة، دمار يهدم ليبني، وصحوة تصرخ فيها الروح لتحلق بعدها، قد يطول الأمر لكن تذكري يوما أن مع العسر يسرا، مازال في

جعبتي الكثير والكثير ولكن روحي عجزت عن التعبير، كانت كلمات لين وحروفها هي الصفعة التي وجهت لندى وأيقظتها من أوهامها وأحزانها لتحرّر الخوف من فقدان أمير، وأيضا لتخفي سرّ شقيقها، وهذا قرارها الأخير..

وفي الليل جلست على سجادتها تناجي ربها وتدعوه لينير دربها وكذا قلبها، رفعت يديها لتقول بانكسار وتذلل: وقد ابتليت بداء ليس له دواء وحالة القلب كل يوم تسوء

أجوب العالم أبحث عن ترياق دون تعب وعناء

والجسد المتعب الهزيل مغطى بالدماء

داخله آلاف الكلمات والسطور لم يعبر عنها وراح يخفيها خائفا دون احتواء

ورماني الدهر بسهام الحب وأذناي لا تسمع لكلام الناس بسببه صارت صماء

وقلبي الذي غطّاه الربيع قد جف كالصحراء

لا ورود ولا حياة فيه عطش من فقدان الحب وزرقة السماء

داخل عالم أسود علقت أنتظر الفناء

وأحزاني قرّرت أن أودعها داخل الثّرى

غارقة في الألم أنزف من عمق الجراح تغمرني ظلمة الليل دون شمس أيامي صارت سوداء

رسبت في لغة الحب وأتقنت لغة البكاء

والحب قررت إعلان صومي عنه وإغلاق أبواب القلب الذي أصابه الوباء

بيني وبين الرحمان سر أفشيته أثناء الدعاء

له سلمت أمري وأنتظر يوم الوفاء

والموت لا مهرب منه سأعيش ما تبقى من أيامي بهدوء

بعيدا عن الضوضاء

إلى أن يحين يوم الكفن وجسدي فيه يقرران الالتقاء..

ثم غفت فوق سجادتها وتمنت مرور السنين لتستطيع ملامسة السعادة

وكذا الحقيقة..

•الفصل السادس عشر: 📖

الحقيقة

مرت سنتين وقد غيرت هذه الشهور والأيام الكثير بحياة ندى، فهي في السنة الأولى في جامعة الطب وبقي شهر واحد لتكمل حفظ كتاب الله وتمكنت من تحقيق أحلامها، أما وليد وأمير فكانا في حفل لحفظة كتاب الله وكان أمير واحدا منهم أما وليد فبعد شهر، وعند خروجهما قال أمير لوليد: أريد خطبة ندى، ردّ عليه وأنا كذلك أريد خطبة لين، فقال الاثنان بصوت واحد إذا حفل زفاف مشترك.

وعاد أمير إلى المنزل ليجلس أمام والدته ويقول لها:

أجبرتني تلك الشقية لأن أفعل ما لا أريد، وضعتني في موقف صعب أحببت قبلها لكنني لم أحدث قبلها فتاة وأرتبط خوفا من رب فوق السماء يراني، ولكن حبّي لها مختلف أردت دوما أن أكون شخصا يسعدها، وجزءً بحياتها أردت التخلي عنها عدة مرات لكن الاشتياق قاتل، عطرها يجذبني لها نظراتها وعيناها السوداوتان وبريقهما، الذي يخبرني بمقدار حب في قلبها قد تكون، خوفها علي مثلا كانت أما تحنو علي حين ترى جرحي وتكون مرهما يداويه، وتشفي يديها الرقيقتين قلبي أثناء خياطتها لجروحي، قرص خديها حين تهمس بالحب كان كل ما أريد، ارتبطت بها روحيا رغم البعد والتفرّق، قطعت الوصال دهرا وفي كلّ يوم لا يطغو

على فكري سواها، كلّ ما تمنيته هو سقف واحد يجمعنا حلال لا يدنسه حرام أو لمس دون زواج، وهذا ما خفته طويلا أن تقرر روحي العصيان وتكسر القيد الذي يحبسها وتقفز بجسدي نحوها فأحضنها من شوقي وحروفي التي تخرس حين أراها رغبة بشم هواها، ولمس خصلات شعرها الذي غطّته قطعة قماش تعففا منها، عشقت تدليلها واعتبارها طفلتي، ومسح دموع عينيها التي تلألأت وقت حزنها وغضبها مني، أراضيها رغم كوني لست المخطئ وهكذا كان حالي يا أمي، وقررت اليوم إخبارك عن الفتاة التي شغلت فكري وسحرت قلبي، أريد الذهاب لطلبها، قالت ماريا: منذ وفاة والدك لم أشاهدك تضحك هكذا وتريد شيئا بهذه الشدّة إنني موافقة سوف أذهب معك غدا..

وباليوم التالي ارتدى بذلته السوداء وذهب مع والدته وشقيقه ووليد إلى منزل حبيبته، جلس مع والدها وطلبها منه، لقد فعلها رغم الاختلاف الكبير الذي بينهما رغم الفراق رغم الحزن لقد فعلها، وكانت ندى بغرفتها وقلبها لا يسعها من الفرح وكانت تشعر بالندم في ذات اللحظة فهي لا تريد أن تخفي عن زوجها حقيقة موت والده، وقفت أمام المرآة وقد ارتدت ثوبا أبيض هو لون قلبه لم تكن تحتاج إلى مستحضرات تجميل فخدّها كان أحمرا ملتهبا وعيناها سوداوتان وكأنما قد أحاطتهما بالكحل أما طول رموشها فقد كان رائعا، وشعرها الأسود الطويل المتساقط على كتفيها، كانت تبدو كالملاك فعلا وجلست وهي تمسك قلبها بيديها خوفا

فهي تعلم أن هذه السعادة قد يتبعها حزن وأسى، ثم خرجت إلى عريسها وهي تحمل صينية القهوة بيديها وقد أعجب بجمالها الساحر فكل يوم مر عليها قد زادها حسنا ورونقا، جلست بجانبه والخجل يقتلها، وكان واضحا حبها له، وموافقتها على هذا الزواج، ولم يطرح عليها والدها ذلك السؤال، فقد وعى قلبه بالفعل أن ابنته تريد هذا الزفاف وبشدة، وتمت الخطبة على خير فقد وافق الأب على هذا العرس واتفقت الأسرتين على أمور المهر وغير ذلك..

وبالليل اتصل أمير بندى وقال لها: أنت الأن أمر يخصني أنا وفقط لقد فعلتها رغم كل ما مررنا به أنت ملكي، وأضاف: تظاهرت بالبرود كثيرا ولكنني انكسرت في كل ليلة قضيتها وحيدا بعيدا عنك، لقد تحطم قلبي في كل لحظة رأيت الدموع بين عينيك، ومنذ هذه اللحظة أريد أن تكوني نور ظلامي ومصدر دقات قلبي وكذا أنفاسي، وقالت له: اندلعت حرب بين عقلي وقلبي كل منهما يريد فرض رأيه علي وعلى الجسد المرهق. بين أن أحدثك أو أنساك وأودعك وأسقطك كورقة من شجرة خريف لتطير بين نسمات الرياح لكنني لا زلت أعشقك، رغم النوافذ المغلقة إلا أن روحي حلقت نحوك، شعر بالسعادة فهذا كل ما كان يريده، وأخبرها أن وليد أيضا سوف يذهب لخطبة لين وأغلق الخط بعدها، أما هي فقد استمرت بحروبها الداخلية وألمها تعيش بين نارين أن تخبر الجميع بالحقيقة أو تخفيها لتحمي شقيقها الذي أصبح مريضا عقليا بسبب جريمته التي اقترفها في حق عادل وأطفاله..

وتمت خطبة لين ووليد بخير واتفق الأربعة على أن يكون زفافهم مشتركا..

انتظرت أن يحين دوري كثيرا لأحكي لكم عن شعوري الآن بعد أن أصبح الشخص الذي أحببته ملكي، إنه اليوم الثلاثون من شهر شعبان وغدا هو أول أيام شهر رمضان المبارك وأيضا يوم زفافي من أمير، كنت سعيدة جدا أجهز للعرس مع أمي وأختي وبقية أقربائنا لم يبقى الكثير لكي نصبح شخصا واحدا، وها أنا اليوم أرتدي الفستان الذي تمنيته ودعوت الله كثيرا لأكون ملاكا بنظره وأنا ألبسه، وقفت أمام المرآة اتأمل وجهي وأتذكر كل لحظة قد مرت علي وأنا أحب هذا الشاب، كان هذا الشعور بداخلي منذ أول يوم التقيته به فحين اصطدمت بصدره شعرت بالحرارة وهي تلتهبني، وحين رأيته يرتدي الأسود ويلقي خطابا بفصاحة سرق مني قلبي وانتشل ألمي، أتت أمي في تلك اللحظة لتقاطع تخيلاتي وأخبرتني أن أهل العريس في منزلي من أجل أخذي، ووافقت على الزواج وهو أيضا، لكن رأيته يذرف دمعا حزنا على فراق والده، كانت دموعه هي البنزين الذي أشعل الحطب بقلبي وأحرقه، فأنا أعلم أن أخي هو السبب ولازلت أخفي عنه ما حدث، أصبحت خائنة، لكنني حسمت قراري أن أخبره بكل شيء هذه الليلة، وإن كانت الضريبة هي فقدان الشخص الوحيد الذي أحببته في حياتي وكذلك أخي، كانت ليلة رائعة فقد أصبح زوجي بعد عناء مني، ودعاء منه، صلينا مع بعضنا وظلّ

يقرأ القرآن مطولا وأعجبت بصوته، وكنت أحدق بملامحه الطفولية، ولم أصدّق أبدا أنه أصبح ملكي وبين يدي، وبيننا كان هناك مشاعر مختلطة شوق رغم القرب بيننا، وحب رغم الاعتراف، وفرحة الوجود تحت سقف واحد بعد حب دام سنين، وأخبرني أمير أنه بطفولته تاه في الغابة ووجد فتاة نام بحضنها ومنذ ذلك اليوم وهو يبحث عن شخص يشبهها فهي حبّه الأول، وحين رآني شعر بنفس الإحساس، وأخبرته أنني أيضا ضعت واكتشفنا أن القدر جمعنا منذ الطّفولة في سن السابعة وأخبرته عن ذلك الرقم، فقد كان الرقم سبعة فعلا هو السر بيننا، وكانت النّهاية هي حضن داخل حضن وقلب داخل قلب، فالحب الحقيقي هو تضحية من أجل البقاء وتحدّي الحياة وثقة بالرّحمان وآخرا فالحب حلال، ومشقة ولا يعنى به إلا رجل لا يخون دينه مع الله فلن يخون حبيبة عشقها، وامرأة صانت نفسها واستعففت رغبة بالحلال معه، لكنني قررت إنهاء هذه السعادة بيدي، ونظرت له والدموع محبوسة بداخلي، لأخبره بالحقيقة وقلت: أريد إخبارك أمرا أخفيته كثيرا لا أريد أن أستمر بخيانتك صدّقني، نظر نحوي بحيرة وقال: لم أفهم، قلت: أخي رائد لقد عرفت قبل سنتين أنه هو قاتل والدك، لقد حقنه بدواء يسبّب سكتة قلبية بالخطإ، صدقني خفت كثيرا وأخفيت الحقيقة لكنني أحبك ولا أريد أن يحدث كل هذا..

•الفصل السابع عشر: 📖

غرباء

كانت الحقيقة المرّة التي باحت بها ندى لأمير هي طلقة الزناد القاتلة التي وجهت إلى قلبه وجوارحه، وقد أعمت الدموع عينيه وتوجه نحو المطبخ وأخذ سكينا، وأمسك يد زوجته وخرج من البيت وتوجّه بها نحو منزلها وهي تبكي والدّموع تخنقها، وصل الاثنان وطرقا الباب والجميع متفاجئ وعلامات الاستفهام تسبح بعقولهم، أخذ بيدها وصعد إلى غرفة شقيقها، ودون أن يشعر بشيء أو يسمع لكلام أحد طعنه بقلبه، وقفت ندى بمكانها وهي تراقب رائد يترنّح بجسده، وكان صراخها يدوي بداخل أذنيه، نزلت تلمسه فقد خسرت شقيقها الوحيد ولفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي أخته، ونظرت لأمير نظرة كلّها عتاب، أمّا هو فسار بعيدا عن تلك الغرفة والدّماء ووقف أمام بابها وأنفاسه توشك على الانقطاع، ونظر الى ندى والتي أدركت أنها خسرت زوجها وشقيقها، وقرّرت إنهاء حياتها حملت ذات السكين وطعنت قلبها، كان يشاهدها وهو منهار، وضعيف لقد مات شخص الآن وهو من قتله، وفقد حبيبته كما فقد والده من قبل، تقدّم ببطء نحو جسدها، تحسّس وجهها بأنامله، وأيقن أنه خسرها حقّا، كان جسدها يختلط بين الدّفء والبرود، وكان يفكر في إنهاء حياته هو الآخر، وبينما هو حزين ويذرف الدّمع شعر بيد تصفعه صفعات متتالية،

لينظر إلى يديه ويجدها خاوية والجثّة والدّم قد اختفوا، ورأى ندى أمامه وهي تبكي بحرارة وأدرك أنّ ما رآه قبل قليل كان مجرد وهم وحبيبته لا تزال على قيد الحياة شكر الله، وأبعد فكرة قتل رائد من ذهنه، وبصعوبة كبيرة رفع رأسه ونظر لها ووقف من مكانه، وقال: يجب أن ينال عقابه، وفي صباح اليوم التالي، طرقت أبواب منزل ندى وإذ بالشّرطة تأخذ رائد لتسجنه، ووالده بحيرة، أما أمير فقد دفع ندى بشدّة إلى داخل المنزل بعد أن قرّر تطليقها، وفي جلسات المحكمة تمّ تأكيد أن رائد قد أصبح مريضا عقليّا وأنه حين ارتكب جريمته كان قتلا غير متعمّد فقرّروا إبقاءه في المصحة العقلية..

مرت ثلاث سنوات وندى تعيش وكأنها جسد دون روح، وبينما هي بمنزل لين ووليد تلاعب طفليهما، أخبرها صديقها بالخبر القاتل، وعلمت أن أمير قد خطب..

خرجت من ذلك المنزل وهي تودع كل دقة من دقات قلبها وراءها وهرعت إلى منزله تطرق الأبواب وتنادي عليه، نزل هو الآخر لها لتضربه على صدره وكانت يداها تخترق قلبه لتخنقه فهو لازال يحبها بالفعل، وقالت له: خائن، فرد عليها: أنت فنانة في رسم لوحات تعبر عن الخيانة وتخرجين منها بلا إدانة

أنت مبدعة في نسج الحكايات وتأليف القصص والأوهام وتصديقها ثم عن نفسك تنفضين الأتربة

كأنك لم تخطئي ممثلة بارعة تجيدين إسقاط الدموع وتمثيل دور الضحية، أنا من قتل قلبه هنا وأنت من أخفيت الحقيقة، حيّة تلدغيني ثم تدّعين أنك الأمان ألا تجدين في ذلك صعوبة، ملاك أنت بل هلاك حياتي دمرت بسببك، ابتعدي عن ساحتي أيا مكسورة الجناح، إني عافي عنك طريقك أشواك سيري فوقها وكوني الصامدة..

كانت هذه الحروف هي الخنجر الذي طعن قلبها والمرارة التي اكتسحت جوارحها وابتعدت عن بيته خاوية المشاعر، ودخل منزله حزينا.

وفي الصباح وجد رسالة من ندى أمام باب بيته كتب فيها:

أيا فاتني أيا معلم القلب أنت يا من أذقتني طعم القسوة

علمتني كيف أصنع جدران جليد تحيط بإحساسي وقتلتني دون أسلحة

أنت لم تستعمل سكينا لطعني بل اخترت حروفا تخترق الروح فتخنقها معلنا وقتا للوفاة

لقد زرعت في داخلي بذور حبك التي لم تجد حنانا يسقيها لتثمر بل وجدت من العين دمعة

وقفت ببابك أطرقه صرخت باسمك ولم أجد من يجيب

كتبت القصائد أتغزل بك وإني اليوم قررت كسر أقلامي وقررت أن أبعد عن لوحتك القديمة الأتربة

دخلت بردهة ذاكرتي وجدت خلايا الدماغ باسمك تنادي أملي كان نسيانك لكن شعورا أحاط بي إنه الخيبة

أغـار عليـك وأشـتاق حيـن لا ألقـاك يـا حبيبـي نـار الخـوف عليـك تندلـع بداخلـي إننـي دونـك ضائعـة

فـي ظهـر الغيـب أدعـو لـك، ابتسـامتك وحدهـا تريحنـي بينـي وبيـن الرحمـان تضـرع لعلـه يسـمع ندائـي وينتشـلني مـن الحفـرة

روحـي لـك فـداء إن طلبتهـا المـوت بيـن يديـك يكفينـي والنظـر داخـل عينيـك ينجينـي

جوارحـي تريـدك وحضنـي كل يـوم ينتظـرك لعلـك تتعـب مـن الدهـر وترتمـي داخلـه قـد أقسـم بـالله أنـه سـيحميك

عن جنس الذكور أريد الابتعاد لم يجذبني رجل غيرك طول سنين

علمتني الكثير لمَ لا تعلمني كيف أنساك؟

قـرر الدهـر تفريـق الحبيبيـن فحتـى هـذه الكلمـات لـم تحـرك بأميـر أي شـعور وقـرر نسـيانها..

وبعـد شـهرين وبيـوم زفافـه ارتـدت نـدى ثوبـا أسـود وسـارت نحـو حفـل العـرس، وطلبـت مـن أمـه أن تسـمح لهـا برؤيتـه لآخـر مـرة وسـمحت لهـا: والتقـى الاثنـان: وقالـت لـه: أسـتحي منـك والاسـتحياء قاتـل أنـزل عينـاي حيـن لقياهـا بـك وأخجـل يحمـر خـدي وسـتار الخجـل رافـض النـزول عينـاي لحبـي كاشـفة وصوتـي يـكاد يتلاشـى وتمـوت الكلمـات قبـل خروجهـا أحضـر الحـروف وأجهزهـا أعطّـر السـطور ألمحـك أتلبـك أحـاول نفسـي أن أعتـرف بالحـب والـكلام يرفـض اختـرت الكتابـة فهـي أصـدق لكنـك رميـت أوراقـي دون اهتمام وتعجب غريب أمرك كيف تصبر

لولا الحياء لصرخت معلنة عشقي لك والهيام قلت أحبك في صوت خافت يكاد لا يسمع والدموع من عينيّ تنهمر لحظة سجلت بذاكرتي لا أنساها وعنها لا أغفل أتذكرها أبتسم وأفرح وينبض القلب بداخلي مستغربا أ بتفكير قلتها أم من شدة الحب كنت عصفورا في السماء يحلق حين يراك جناحه يكسر وقفص السجن كان قلبك منذ أن حررته وهو حزين لا يزقزق بغضب قلت إني أغار على أنغام صوتك رقصت من الفرح ومن صراخك خفت، كدت أن أبكي لكن كلامك عني قد خفف وكانت أول مرة أعشق... وتقدم ليهمس لها بأنه يحبها كما تحبه لكن هذا القدر الذي كتب عليهم..

ووقفت أمام البحر وهي تقول:

اشتقت لطفولتي حين وقفت أمام ذلك الرصيف وجلست تحت إحدى الأشجار من أمام ظلالها أرنو إليها متأملة يراودني إحساس رهيب أتسلقها وأحتضن أغصانها المهم أن يكون لي انتماء وجذور بعيدا عن العالم والصخب والضجيج آن الأوان لأن أعيش في رخاء تحت السماء الزرقاء

وأهجر ذوي الطمع في عيشة السخاء

وأحلم بالنظر للسماء والغيوم البيضاء

حيث أهرب لمكان يغطيني من الدّماء وها أنا اليوم فقدت من أحببته وصرنا غرباء..

وبعد سنة نجحت ندى في تأليف أوّل رواية لها "ثمّ اختفى كل شيء"، وكان بطل قصّتها أمير، وشاهدته بين القرّاء في حفل التّوقيع بعد أن أصبحت تلك الرّواية هي أفضل كتبه، فقد تمكّن الرقم سبعة حقا من جمع هذين القلبين، لكن سرعان ما تلاشت السعادة، وختمت ندى روايتها بعبارات انبجست طويلا بداخلها. «شوقي لك فأس بالقلب يقطعه

وحبّي كأس موت أرتشفه

وعيناك بالسمّ تمزجه

ذكرتك فتعطّر اللسان بما لك من جاه

حاولت تركك ولم أجد لروحك أشباها

ورغم شريان بالقلب يتمزق إلا أن قلبي لازال متشبثا بعشقك ومتمسكا به

ومن لسانك سمعت كلمات عتاب وفؤادي أنت من عاداه

فلماذا يعذب بغيابك ولازال يظن أنك من ناداه

بحث عن السعادة كثيرا لكنه تاه

فأنت السبيل ومن دونك لن يجد هداه

وحتى تصرفك لم أدرك بعد معناه

وما بيننا لم يكن هياما بل جنونا وأنت من سماه

قتلتك بداخلي حتّى صوتك لم أعد أسمع إلا صداه

أما عقلي فقد أصابه الإرهاق وبلغ منتهاه

رأيت شكلي بالمرآة ووجهي لم أعرفه وا أسفاه

وبين الوهم والحقيقة أسير وا ضيعتاه !

متى يسري هواك مع الليل ويغادرني فحتى نور البدر هجرني وا ظلمتاه!

والجفون بدل الدمع ذرفت الدم حزنا واحسرتاه!"

وانتهت القصة هكذا بالفراق رغم أن القلوب لازالت تعشق وتلتقي بكل ليلة معلنة أنّ الحبّ مهما طال الدهر لن يموت، فبدأ الأمر صدفة ودون سابق إنذار اختفى كلّ شيء.

❤ تمّت والحمد لله ❤